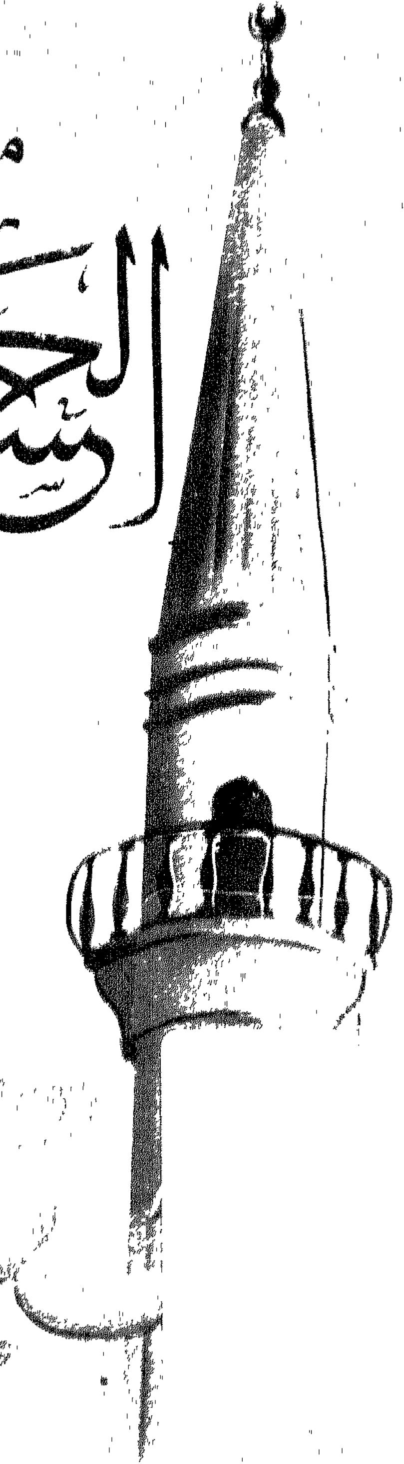
النبوى جبر سراج

مناقبُ الإمامَين

الحسَن والحسَين



المكتبة التوفيقية

النبوى جبر سراج

مناقب الإمامين
الحسن والحسين
رضى الله عنهما

المكتبة التوفيقية
امام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سـيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين غـرس الله عز وجل محبتهم فى قلوب المؤمنين ودعـا رسوله ﷺ لمن يحبـونهم ويودونهم ويجلونهم وينشـر مناقبـهم. فهم مصابيح الهدى ومفاتيح الرجا.

وبعد

فلم تكن الكتابة عن السبطين الكريمين الحسن والحسين رضى الله عنهما سوى أمنية غـالية طالما تمنيتـها على ربى عز وجل، غـير أنه - كمـا بدا لى- كان علىَّ أن أؤهل نفسى وقلمى كى أحظى بهـذا الشرف العظيم ، ولما كانت رغـبتى ومطلبى أن يساعدنى ربى فى نشر فضـل ومناقب أهل بيت الحبيب المصطفى ﷺ ولأجمع قلوب الإخوان على قلوبهم حبـا ومودة وصلة كما فعل سـيدنا أبو بكر رضى الله عنه حين قال « إن صلة رحم النبى ﷺ أحب إلىّ من صلة رحـمى» - وكما فعل سيـدنا عمر رضى الله عنه حين رغب فى الانتساب إلى النبى ﷺ فتزوج ابنة الإمام على كرم الله وجهـه السيدة أم كلثوم ليـزداد شرفا إلى شرف الصـحبة وشرف السـبق إلى الإسلام وشرف الخلافة خلافة المسلمين .

ولقد ألحت علىّ فكـرة الكتابة عن السبطين الكريـين بعد أن استـجبت لداعى الروح فقد اجتهدت حتى بلغت مرحلة التأهيل بعـد أن كتبت كتابا عن السيدة نفيسة رضى الله عنهـا وآخر عن السـيدة زينـب رضى الله عنها ، والفـضل فى هذا لله ثم لولى الله العـارف سيـدى حسن كـامل الملطاوى شيـخى رضى الله عنه؛ فهـو الذى ربطنى بأهل البـيت وحبـبنى فيـهم حبـا فى الله وفى رسوله ﷺ فكنت كلـما زرت المشهد الحسـينى أو الزينبى أو السيدة نفيسة أشعـر وكأننى فى الجنة، فزاد تعلقى بهم

حتى أننى كنت كلما أردت أن أشعر براحة أسارع إلى مسجد الحسين أو مسجد السيدة زينب أو مسجد السيدة نفيسة فأصلى فى المسجد ما شاء الله لى ثم أجلس بجوار المقام أدعو لصاحبه وأؤدى واجب المودة فلا أكاد أنتهى من الزيارة حتى أجد نعيم الراحة يملأ صدرى ببركة الأماكن الطاهرة التى وكلت بها الملائكة ترفرف أرواح المكرمين من أهل الله، وكيف لا يكون سادتنا أهل البيت مكرمون عند ربهم لأجل جدهم المصطفى ﷺ .. أو ليس الله تعالى قال فى كتابه الكريم : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ (١) .

فسبحانه وتعالى يلحق ذرية المؤمن به فى درجة فى الجنة إكراما له وإدخالا للسرور على قلبه فضلا من الله وعطاء للمؤمنين ورسول الله ﷺ أولى خلق الله جميعا بهذا الفضل من ربه مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٢) .

فأهل البيت مكرمون وأهل مودتهم كذلك مكرمون بإذن الله تعالى فى الجنة.

ومن اللطائف حول نسبة الحسن والحسين إلى جدهما المصطفى ﷺ دون غيرهما من أبناء بناته - أن محاورة جرت بين الحجاج الثقفى والشعبى محب أهل البيت وكان يقول إن الحسن والحسين أبناء رسول الله ﷺ فاستدعاه الحجاج وجمع بعض العلماء من الكوفة والبصرة ، فلما دخل الشعبى لم يهش الحجاج فى وجهه، فلما جلس الشعبى قال له الحجاج: يا شعبى ما أمرٌ بلغنى عنك يشهد عليك بجهلك؟ فقال الشعبى : ما هو أيها الأمير؟

قال الحجاج: تقول إن الحسن والحسين أبناء رسول الله .. الا تعلم أن أبناء الرجل إنما ينسبون إليه والأنساب لا تكون إلا بالأباء ، فما بالك تقول عن أبناء علىّ

(١) سورة الطور . ٢١

(٢) سورة النساء . ١١٣ .

الحسن والحسين أنهـما أبناء رسول الله ﷺ وذريته مع أن اتصالهم به من جـهة أمهم فاطمة بنته ﷺ .

فرد الشعبى، ما أراك تكلمنا إلا بكلام من يجهل كلام الله وسنة نبيه ﷺ .

فقال الحجاج وقد اشتد غضبه: ويلك كيف تقول لى هذا الكلام؟!

فقال الشعبى : هؤلاء هم قراء وعلماء المصرين البصرة والكوفة وحملة كتاب الله ، أليس الله قال عن إبراهيم عليـه السلام « ومنْ ذريته عيسى» فـهل كان اتصال عيسى بإبراهيم عليهما السلام إلا من جهة أمه مريم ؟ أما وقد صح النقل عن رسول الله ﷺ أنه قال: « هذا ابـنى سيد شـباب أهل الجنة» عندئذ خـجل الحجـاج بعد أن أفحمه الشعبى بالحجة أمام العلماء والقراء .

فالحـسن والحسين ابنـاه بل حبيـباه قـال ﷺ : « أحَبُّ أهل بيتى إلىَّ الحـسن والحسين » (١) .

وأما أبوهما الإمام على وأمهما السيدة فاطمة الزهزاء بنته فهما أعظم مكانة فى قلبه فلما سئل أيهما أحب إليه فقال : « فاطمة أحب إلى من على، وعلى أعز علىّ من فاطمـة» لذا وجبت محبة أهـل البيت فحبيب الحـبيب حبيب كـما أن صلة رحم رسول الله ﷺ موصولة فى الدنيا والآخرة .

روى أحمد والبيهقى عن حمزة بن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« ما بال رجـال يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع يوم القـيامة بلى والله إن رحمى لموصولة فى الدنيا والآخرة».

وعندئذ قال عمر بن الخطاب لما سمع الحديث « فتزوجت أم كلثوم بنت الإمام على رجاء أن يكون بينى وبينه نسب وسبب لا ينقطع أبدًا».

(١) حمع الجوامع العدد الثانى جـ ١ مجمع البحوث الإسلامية

ولكى نعرف فضل هؤلاء الطيبين عترة المصطفى وأهل بيته المطهرين نرجع إلى القرآن الكريم فقد جاء ذكر أهل البيت فى القرآن الكريم فى مواضع أهمها قوله تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١) .

وفى تفسير الآية قال الإمام الطبرى: أى يذهب عنكم الرجس والسوء والفحشاء يأهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذى يكون فى أهل معصية الله، فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمته .

وقد استدل العلماء على أن أهل البيت هم مع رسول الله ﷺ على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ، استدلوا بحديث عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ « :نزلت هذه الآية فىَّ وفى على وفاطمة والحسن والحسين » (٢) .

وإن كان ما ذهب إليه بعض العلماء إلى أن أهل البيت عامة فى ذرية النبى ﷺ وفى أزواجه وفى جميع المؤمنين فإن الحسن والحسين وأباهما وأمهما يدخلون فى العموم كما هم مختصون بهذا الشرف العظيم وهم خاصة أهل البيت والحسن والحسين مختصان بحب جدهم ﷺ حبا عظيما وسترى كيف كان لهما الحظ الأوفر من العطف النبوى والرعاية والدعاء لهما مما يبعث على حبهما ومودتهما وصلة قرابة النبى ﷺ فيهما فمن يفعل ذلك فهو مأجور من الله عز وجل وقريب من الجوار النبوى الكريم فى مقام كريم بإذن الله تعالى وما أطيب ما قال المحب:

فيا مَن يُواليهم ويحفظ ودهم ∴ ويكرمُ مثواهم هنيئًا لك البشرى
فلابدَّ يوم العرض تسمع قائلا ∴ تفضل تفضل فادخل الجنة الخضرا

المؤلف

فى شهر رمضان ١٤١٨ هـ

١٩٩٨ م

فيارب زدنى من يقينى محبة ∴ ورد حبهم يارب من حسناتى

---

(١) سورة الأحزاب ، ٣٣ .
(٢) انظر تفسير الطبرى

- مكانة الحسن والحسين عند جدهما المصطفى ﷺ

روى الترمذى فى سننه عن أسامة بن زيد قال : طرقت باب النبى ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة فخرج ﷺ وهو مشتمل على شىء لا أدرى ما هو،فلما فرغت من حاجتى قلت: ما هذا الذى أنت مشتمل عليه يا رسول الله فكشف فإذا الحسن والحسين على وركيه فقال : (هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما).

وهو حديث صحيح يدل على أن النبى ﷺ كان يحبهما حبًا شديدًا ويشملهما بعطفه ورعايته، فقد دعالهما ولأحبابهما بمحبة الله وهذا الدعاء من الفوز العظيم لأن دعوته ﷺ مستجابة عند ربه .

ومما روى فى أثر العناية الربانية بالسبطين الكريمين ما رواه البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنهما كانا عند جدهما ﷺ وقد أمسيا فقال لهما : « اذهبا إلى أمكما» قال: فهابا أن يذهبا فبرقت برقة فى السماء فأضاءت فمشيا فى ضوئها حتى أتيا أمهما رضى الله عنهم .

ومما روى عن حب النبى ﷺ للسبطين أنه ﷺ كان كثيرًا ما يداعبهما ويحنو عليهما ، ومما قال: « حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينًا. حسين سبط من الأسباط ».

ولقد ولد ونشأ الحسن والحسين بالمدينة المنورة مع أبيهما ثم خرجا معه إلى الكوفة وشهدا معه موقعة الجمل وصفين وقتال الخوارج ، وبقيا مع أبيهما حتى استشهد وظلا معا حتى سُلِّمَ الأمر لمعاوية فتحول الحسين مع أخيه إلى المدينة المنورة وعاشا بها .

ثم خرج الحسين إلى مكة وهناك أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بالخلافة بعد موت معاوية فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل فأخذ بيعتهم ثم لمّا أرسل إليه

توجه إلى العراق وكان ما كان من قصة استشهاده هناك على أيدى الفسقة وكان ذلك فى العاشر من محرم سنة واحد وستين للهجرة وكان عمره رضى الله عنه ستا وخمسين سنة ونصف السنة ولقد سجل المحبون للسبطين الكريمين مناقبهما فى سجل الكرام الطيبين فقال المرحوم محمد إقبال شاعر الباكستان . .

حسن الذى صان الجماعة بعد ما — أمسى تفرقها يحل عُراها
ترك الخلافة ثم أصبح فى الديار — إمام ألفتها وحسن علاها
وحسين فى الأحرار والأبرار — ما أزكى شمائله وما أنداها
فتعلموا ريَّ اليقين من الحسين — إذا الحوادث أظلمت بدجاها
وتعلموا حرية الإيمان من — صبر الحسين وقد أجاب نداها

ثم يصف تقوى أمهما الزهراء رضى الله عنها فيقول :

فمها يردد آى ربك بينما — يدها تدير على الشعير رحاها
بَلَّتْ وسادتها لآلئُ دمعها — من طول خشيتها ومن تقواها
جبريل نحو العرش يرفع دمعها — كالطل يروى فى الجنان رباها

ثم يصف الإمام علي فيقول:

ولزوج فاطمة بسورة « هل أتى» — تاج يفوق الشمس عند ضحاها
إيوانه كوخ وكنز تراثه — سيف غدا بيمينه تياها
فى روض فاطمة نما غصنان لم — ينجبهما فى النيرات سواها

فجمع شاعر الإسلام فى قصيدته فضائل السبطين وأبيهما وأمهما رضى الله عنهم . فأبوهما أشهر من أن يعرف، الإمام بطل الإسلام الفذ وتضحياته فى نصرة الدين كانت تارة بسيفه وتارة بيده وتارة بلسانه ووعظه وتارة بفكره وقلبه . . وهو

الذى كان ساعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يعتمد على رأيه فى الأمور الخطيرة وكان رضى الله عنه يقول: « لولا على لهلك عمر» وكذلك كان يقول« أعوذ بالله من معضلة ليس لها إلا أبو الحسن»

فقد كان رضى الله عنه جم العلم، قوى الجسم، عظيم القدر، قال عنه ابن عباس تلميذه رضى الله عنهما: « لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم وايم الله لقد شارككم فى العشر العاشر ».

وكان الإمام على كرم الله وجهه يتحدث بنعمة الله عليه فى باب العلم فيقول: «أيها الناس سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله ما مِن آية فى كتاب الله تعالى نزلت إلا وأعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم فى سهل أم فى جبل».

وقد تحقق له هذا العلم بفضل دعاء رسول الله ﷺ له يوم بعثه ﷺ إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ويقضى بينهم قال: يا رسول الله : إنهم كهول وأنا فتى، وربما لم أصب فيما أحكم به بينهم» فقال له ﷺ : «اذهب فإن الله سيثبت قلبك ويهدى لسانك».

وعندما وصى رسول الله ﷺ ابنته الزهراء عند زواجها من الإمام على قال لها: « زوّجتك أقدمهم إسلاماً وأعظمهم حلما وأعلمهم علما ».

وأسوق هذه الواقعة التى ترينا مكانة الإمام الحسين رضى الله عنه عند جده المصطفى ﷺ، وقد سمعتها من شيخى رضى الله عنه العارف بالله حسن كامل الملطاوى كان الشيخ الأحمدى الظواهرى شيخ الأزهر وكان من العارفين قد اعتاد على زيارة المصطفى ﷺ فى رمضان فى العمرة، وكانت تلك عادته قبل أن يتولى مشيخة الأزهر، وبينما كان فى الروضة الشريفة أخذته سنة من النوم، فرأى رسول الله ﷺ يقول له ما معناه: لماذا تتعب نفسك وتأتى كل سنة؟ عندك الحسين تقضى فيه حاجتك.

وقد ذكر الإمام الشعرانى الولى الكبير القصة الآتية : كان له رضى الله عنه صديق مخلص، فطلب منه ذات مرة أن يصحبه معه لزيارة مولانا الإمام الحسين فقال له صديقه هذا معتذرا : « أنا لا أعتقد أن الإمام الحسين مدفون فى مصر، بل أعتقد أنه مدفون فى كربلاء حيث استشهد، فألح عليه الشيخ الشعرانى فاستجاب ولما كان اليوم الثانى حضر هذا الصديق إلى الشيخ وطلب منه أن يصحبه لزيارة مولانا الحسين فتعجب الشيخ، واعتقد أن صديقه قد رأى ما دعاه لتكرار الزيارة التى كان يتأباها من قبل، فسأل الشيخ الشعرانى صديقه ما الذى حمله على طلب الزيارة والتى قام بها من قبل على مضض ؟

فقال له الصديق: رأيت شخصا على هيئة نقيب الأشراف خرج من مقام مولانا الإمام الحسين وسار بى حتى دخل على مولانا رسول الله ﷺ بالمدينة وقال : يا سيدى يا رسول الله، هذا الشيخ أحمد شلبى، زار مع الشيخ عبد الوهاب الشعرانى بالأمس قبر ولدك الحسين بالقاهرة فقال المصطفى ﷺ :«تقبل الله منهما وغفر لهما» ومعروف أن رؤية النبى ﷺ فى المنام حق .رأيت هذا بنفسى فى المنام والفضل لك بعد الله سبحانه وتعالى، ولهذا جئت أطلب مرافقتك فى الزيارة . .

فأهل البيت رضى الله عنهم هم الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا جزءً لا يتجزأ من رسول الله ﷺ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وجعلهم أئمة حكماء يهتدى بهم المهتدون، ويستضىء بأنوارهم المحبون، وجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وتتبارى فى أداء واجب المودة نحوهم، فأدبهم من أدب جدهم، وعلمهم من علمه، وميراثهم من ميراثه الشريف وهو العلم، فحياتهم ابتدأت بالإمام على كرم الله وجهه وسيدة نساء العالمين الزهراء بنت رسول الله ﷺ فكانت حياتهم كلها وقفا على الشريعة، فما أبقوا آية من كتاب الله إلا أوضحوها، ولا حكما من أحكام الشرع إلا بينوه للناس، ولقد تحدث النبى ﷺ عن منزلة الإمام على والد الحسن والحسين فقال: « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم

فليأته من بابه [١] وقال « أعلم أمتى من بعدى على بن أبى طالب» [٢] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لعلى: « يا على أنت تبين لأمتى ما اختلفوا فيه من بعدى » [٣] .

ولقد بينت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة فضل ومنزلة أهل البيت وكرامتهم عند رسول الله ﷺ الذى أحبهم، وبخاصة الحسن والحسين، ودعا لمن أحبهما، وكذلك سجل الإمام الشافعى رضى الله عنه ولاءه لذوى القربى فقال :

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله فى القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكمُ ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

فأشار فى البيت الأول إلى اية المودة فى سورة الشورى: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٤] .

وأشار فى البيت الثانى إلى وجوب الصلاة على الآل بعد الصلاة على جدهم فى التشهد عند كل صلاة، ومن يقتصر فى الصلاة على النبى فى التشهد ولم يكمل الصيغة بطلت صلاته، كما أن الصلاة على النبى ﷺ كما علمنا تعد تبراء إذا لم تقترن بآله الطيبين الطاهرين ذوى المقام العظيم.

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عُدّ أهلُ التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل: مَنْ خير أهل الأرض؟ قيل: همُ

---

(١) الاستيعاب جـ ٣ .
(٢) منتخب الكنز .
(٣) منتخب الكنز .
(٤) سورة الشورى ٢٣ .

ولقد اختـار المولى عز وجل للحسن والحسين أبا هو الإمـام باب مدينة العلم، وأمّا هى البتول والزهراء السيدة فاطمة التى بشـرها النبى ﷺ كما بشر زوجها الإمام على بالجنة ، وقد قالوا عنهـا إنها: شهاب النبوة، وقيثـارة المصطفى ﷺ، ولقد كان النبى ﷺ يناديها «بأم أبيها»، فهى فى مـوضع الروح والقلب أليست كريمته ﷺ التى شاء الله تعالى ألا يكون لغيرها من نساء العالمين ذرية وأهل للمصطفى ﷺ؟ هم أهل البيت رضى الله عنهم، وأولهم الحـسن والحسين والذين كرمهم سبـحانه وتعالى في قرآنه الكريم .

﴿إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ .

وقال ﷺ فى حديث شريف . . . « وإن الأنساب يوم القـيامة تنقطع إلا نسبى وسبـبى وصهرى» عن المسـور بن مخرمـة الصحابى. ولقـد نسب النبى ﷺ الحسن والحسين إليه فقال معتزا بهما: « إنما هما ابناى وابنا ابنتى، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما فهنيئًا لهما وهنيئًا لمن أحبهما بدعاء النبى ﷺ والله سبحانه وتعالى لم يرد له دعاءً. .

ولقد ورث الحسن والحسين العلم الجم عن ابيهمـا؛ لذلك كان أخوهما محمد ابن الحنفية وهو من ابيـهما يعرف ذلك فبعـد وفاة الإمام على ذهب إليهما وسـألهما ميراثه من أبيـه فأجاباه أن أباه لم يترك شيئًا يورث، فـقال: أعلم ذلك ولكنى جئت إليكما أطلب ميـراث العلم وليس ميراث المال، جاء رضى الله عنه ليـتعلم على يدى أخويه السـبطين الكريمين، فقـد كان يعرف منزلتـهما فى الـعلم، وكان محـمد هذا شجاعا وقد عرف عنه أنه كان من قوته يلوى الحديد فـلا يقيمه غيره وكان ذا شجاعة نادرة أظهرها فى موقعة الجمل، وقد سـجلت له فى هذا البيت كما سجل له الشرف بتسميته محمدا. .

أبوك الذى لم يركب الخيل مثله ∴ علىٌّ سماك النبى محمدا

ومن طريف ما يروى عن السبطين الحسن والحسين أنهما كانا يناديان جدهما بقولهما « يا أبت»، بينما كان الحسن ينادى أباه فيقول: يا أبا الحسين وكان أخوه الحسين ينادى أباه فيقول: يا أبا الحسن إلى أن انتقل جدهما إلى الرفيق الأعلى . .

ولا عجب فقد اصطفى الله عز وجل رسوله ﷺ على العالمين، واصطفى له ذرية طاهرة شرفت بالأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة، والجهاد فى نشر الإسلام بالنفس والمال وحسن المسلك، فهذه الذرية كما وصفها الإمام على قال : « هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخافون الحق ولا يختلفون فيه ، هم دعائم الإسلام وولائم الاعتصام. بهم عاد الحق إلى نصابة ، وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه من منبته ، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية ، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل ».

فما فضل إلا بفضلهم، ولا هدى بغير هداهم، فهم المهتدون بهديه ﷺ وهم ذوو فضل مما نالوه منه ﷺ لذلك قال المحب:

أرى حب أهل البيت عندى فريضة ... على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه ... على هديه إلا المودة فى القربى

وفى الحديث الشريف: « أحبوا الله لما يغذوكم به من نِعَم وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى».

وإنَّا لنقول ما قال المحب :

فيارب زدنى من يقينى بصيرة ∴ وزد حبهم يارب فى حسناتى

(رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)

الإمام الحسن رضى الله عنه

مولد الإمام الحسن رضى الله عنه ونشأته :

روى ابن أبى حديد فى شرح نهج البلاغة أن الإمام الحسن رضى الله عنه ولد للنصف الأول من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وسماه رسول الله ﷺ «حسنا». وقيل: الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة ولم يكونا فى الجاهلية .

ورروى البخارى عن عقبة بن الحارث قال : صلى بنا أبو بكر العصر ثم خرج فرأى الحسن بن على يلعب ، فأخذه فحمله على عاتقه وهو يقول: « بأبى شبيهٌ بالنبى، ليس شبيها بعلى» وعلى يضحك والحسن والحسين ينسبان إلى جدهما ﷺ خصوصية لهما، فنسب إليه أولاد بناته ولم يكن ذلك فى أولاد بنات بناته فالخصوصية للطبقة العليا فقط، فأولاد فاطمة رضى الله عنها ينسبون إليه ﷺ وأولهم الحسن والحسين وأولادهما ينسبون إليهما فينسبون إلى النبى ﷺ بينما أولاد أختيهما زينب وأم كلثوم زوجتا عبدالله بن جعفر وعمر بن الخطاب، فينسبون إلى أبويهما لأنهم أولاد بناته، وإنما خرج أولاد بنته فاطمة رضى الله عنها وحدها للخصوصية التى ورد بها الحديث الشريف عن جابر رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم لكل بنى أم عصبة إلا ابنى فاطمة أنا وليهما وعصبتهما» أخرجه الحاكم فى المستدرك .

ففى الحديث خص رسول الله ﷺ الانتساب والتعصب بالحسن والحسين دون أختيهما لأن أولاد أختيهما ينسبون إلى أبويهما . .

وكذلك فشرف ذرية السبطين الحسن والحسين عام لا فرق فيه بين أولاد ذكورهما وأولاد إناثهما لأبوة النبى ﷺ لهما وقال رسول الله ﷺ مبيِّنًا من هم أهل البيت حين نزلت الآية الكريمة : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ طرح على ابنته فاطمة وزوجها على والحسن والحسين كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب الرجس عنهم .

وأخرج أحمد والترمذى وصححه النسائى والحاكم عن المطلب بن ربيعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والله لا يدخل قلب امرىء مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتى» .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾(١) .

قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ، قال « على وفاطمة وولداهما» .

وأخرج الديلمى عن على رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتى، والقاضى لهم الحوائج، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه ،والمحب لهم بقلبه ولسانه» .

ومع هذا لم يكن الإمام الحسن رضى الله عنه فى مأمن من عذاب الله وكان يخاف مقام ربه، فقد روى أن رجلا سمعه يناجى ربه ويبكى فقال له : أتخاف عذاب الله وعندك أسباب النجاة: ابن رسول ، وشفاعته ﷺ ، ورحمته التى وسعت كل شىء فقال له الإمام الحسن: أما إنى ابن رسول الله فالله تعالى يقول ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾(٢) .

وأما الشفاعة فسبحانه يقول :﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾(٣) .

وأما الرحمة التى وسعت كل شىء فالله يقول :﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾(٤) . فكيف الأمان يا أخا العرب .

ولقد كان رضى الله عنه يحج إلى بيت الله ماشيا ونجائبه تقاد بين يديه ويقول: إنى أستحي من ربى عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته .

(١) سورة الشورى ٢٣ .
(٢) سورة المؤمنون : ١٠١ .
(٣) سورة البقرة : ٢٥٥
(٤) سورة الأعراف ١٥٦

وسئل رضى الله عنه ذات مرة: نراك لا ترد سائلا وإن كنت على فاقة، فقال: إنى لله سائل وأنا أستحى أن أكون لله سائلا وأرد سائلا والله سبحانه وتعالى عودنى أن يفيض على نعمه وعودته أن أفيض على الناس وأخشى إن قطعت العادة أن يمنعنى العادة .

ولقد نشأ رضى الله عنه متحليا بجميل الصفات كريما، حليما ، خطيبا، عابدا، راشد الرأى حكيما، مستشفا عظائم الأمور، ميالا إلى التقية وحسن الروية، ورغم أنه رضى الله عنه لم يعاشر جده المصطفى ﷺ أكثر من سبعة أعوام قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى إلا أنه أخذ عنه الحكمة وروى عنه الأحاديث الشريفة ثم استكمل العلم على يد أبيه الإمام على وهو امتداد لعلم جده ﷺ .

ثم نقل هذا العلم إلى أهل بيته فكان لهم الإمام، كما أصبحوا هم الأئمة من بعده.

لقد كان الإمامان حفيدا رسول الله ﷺ عظيمى الحياء والخشية، فقد حج كلاهما مرات عديدة على الأقدام بينما الإبل النجائب تقاد بين أيديهما وكانا يقولان: نستحى أن نذهب إلى بيت الله الحرام راكبين .

ولم يكن زهد الإمام الحسن بترك نعم الله عليه، وإنما كان يتمتع بنعم الله عليه فيلبس أجمل الثياب ويأكل أطيب الطعام؛ ليظهر للناس نعم الله عليه وغناه عنهم كما كان سخيا، كريما، يعطى عطاء من لا يخشى الفقر متأسيا بجده المصطفى ﷺ .

وكانت له هيبة ووقار ويحسب له حساب عند الأمراء من بنى أمية حتى لقد قال معاوية : والله ما رأيته جالسًا عندى إلا خفت مقامه .

كما شهد له خصومه فقال مروان بن محمد: إن حلمه كان يوزن بالجبال، ولئن كان البعض قد ظن أن الإمام الحسن قد خالف أباه فى سياسته حين آثر السلام وترك الخلافة لبنى أمية، ولو أنهم تمهلوا فى الحكم قليلا لعلموا أن هذه سياسة الإمام على فقد كان رجل السلام وكان ينشده ويحاوله ما وسعه الجهد ، فما قاتل من

خاصموه فـى موقعة الجمل أو فى صفين وحـتى الخوارج إلا بعد أن بصّرهم ونصح لهم فلم يجد بدا من قتـالهم صيانة للحق بعد أن حذر وأنذر فـالإمام الحسن رضى الله عنه حين سالم معاوية لم يخالف أباه فى سياسة، وإنما اجتهد رأيه فقد تنازل عن الخلافـة بعد أن تكشف له عـذر أصحابه حين طغت فـتنة الدنيا على نفـوسهم فكان موفقا فى رأيه خاليا من الأهواء والأغراض الدنيوية يريد خيرْ الأمة وحفظ الدين قبل كل شىء.

وكذلك كان الإمام الحسن علما خفاقا يتمنى الناس إمامته وكان معاوية يعرف ذلك ومع ذلك أخذ البيعة لابنه يزيد نـابذاً مبدأ الشورى الذى أقره المصطفى ﷺ مع شهـرة يزيد بالفسق وخروجـه على الحدود الشرعـية والآداب الإسلاميـة، ولئن كان معاوية قـد عرض على الإمام الحسن أن يكون الأمر لـه من بعد يزيد إلا أن صاحب النفس الأبيـة أبـى إلا أن يكون الأمـر شـورى بين المسلمين يخـتـارون من يصلح للخلافة.

وكان قضاء الله أن يموت يزيد بعد أعوام أربعـة فقط من حكمه بل أقل كما أنه لم يدم الحكم فى بنى أميـة مدة طويلة، فقـد انتزع العبـاسيون الملك منهم إلى غـير رجعة، ولم يكن الإمام الحسن إلا رجلا راضيا بالمـقدر فذلك من علامات اليقين كما كان يردد هذه الحكمة: «نحن آل البيت نسأل الله فيعطينا فإذا أراد ما يحب فيما نكره رضينا ذلك لأن حكمة الله دقت عن العقول».

وكَم أشاد المحبون بمآثر الحسن والحسين فقال قائلهم :

فى روض فـاطمـة نما غـصنان لم ∴ ينجـبـهـمـا فـى النيـرات سـواها
فـأمـيـر قـافلة الجـهـاد وقطب دا ∴ ئـرة الوئـام والاتحـــاد ابـنـاهـا
حسن الذى صـان الجماعة بعـدما ∴ أمـسـى تفـرقــهـا يحل عـــراها
وحـسين فـى الأبرار والأحـــرار ∴ مـــا أزكى شـمــائله ومـــا أنداها
فـتعلـموا رى اليـقين من الحـسين ∴ إذا الحـــوادث أظلمـت بدجـــاها
وتعـلمـــوا حـــرية الإيمـان من ∴ صـبـر الحسين وقـد أجـاب نداها

الحسن مع السلام والحسين مع الحق

فالإمام الحسن رضى الله عنه أبت عليه أريحيته أن يريق دماء المسلمين فى سبيل حقه المشروع فى الخلافة وصدق جده ﷺ «إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

وحينما أحسّ بالسم يسرى فى جسده قبل موته رفض أن يأخذ الجانى بالشبهة مع أنها شبهة تؤيدها دلائل كثيرة، فحين قال له أخوه الحسين: أخبرنى من سقاك السم؟ قال له: أقول لك كى تقتله؟ قال الحسين: نعم فأجابه عندئذ ما أنا بمخبرك إن يكن الذى أظن فالله أشد نقمة، وإلا فما أحب أن يقتل بى برىء.

فالحسن لا يزال رمزا للسلام والحسين لا يزال رمزا للتضحية والتمسك بالمبدأ فلقد استشهد دفاعا عن الحق فى كربلاء ولما خشى على أصحابه وأهله ممن كانوا معه فى كربلاء الهلاك، أشفق عليهم فناشدهم الله والرحم أن يتفرقوا عنه، وقال لهم: « أنتم فى حل من رفقتى فإذا استحييتم أن تتفرقوا فى رابعة النهار فتفرقوا فى دجى الليل. ولكنهم آثروا البقاء معه فماتوا دونه واستشهد معهم مع أنه كانت له شهرته فى الفتوة والفروسية والحكمة والوفاء والعطف.

ومع ذلك فقد استطاع باستشهاده وإن كلفه ذلك روحه أن يجعل الذين خافوا أباه وغدروا بأخيه يعيشون فى حزن مقيم وعبرة لا تسكن إلى اليوم وندم لا ينسى فحين يأتى يوم استشهاده يوم العاشر من المحرم يعيشون مع الذكرى الأليمة والتى توارثوها من الآباء ينشرون التوبة ويظهرون الندامة قولا وعملاً فى أنفسهم وكذلك استطاع سيد الشهداء أن يركز باستشهاده على كراهية الأمويين الذين اغتصبوا حقه وحق أخيه بعد أن حاولوا أن يضفوا على خلافتهم الشرعية فبقدر ما والى الناس بقلوبهم الحسن والحسين، بقدر ما أبغضوا بنى أمية لكن كما قيل كانوا مع الحسنين بقلوبهم وعليهما بألسنتهم خوفا من بنى أمية ومن بطشهم بهم وكأن لسان حالهم يقول:

أحب الحسين ولكنما ∴ لسانى عليه وقلبى معه

فلقد شاهدوا وسمعوا كيف كان الحسين يقاتل وقد منعوه الماء، وكلما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه فأبعدوه ثم أثخنوه بالجراح حتى سقط عن فرسه فلما رأته أخته السيدة زينب رضى الله عنها نادت رجلا منهم تعرفه وصرخت أيقتل أبو عبدالله الحسين وأنت تنظر إليه؟ مالكم يا أتباع يزيد تقتلون ابن بنت رسولكم، ألا تتقون الله فى رحم رسول الله .. فسالت دموع الرجل على خديه ولكنه صرف وجهه ولم يجبها بشىء خوفا من بطش الظلمة وهو من رجالهم .

وظل الإمام الحسين يقاتل راجلا قتال الشجعان فيتقى الربعة وهو يقول: أعلى قتلى تجتمعون وايم الله لينتقمن الله لى منكم من حيث لا تشعرون، ولم يزل يقاتل حتى أصابته اثنتان وسبعون جراحة فوقف يستريح وقد ضعف وبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته ثم أتاه سهم مسموم فوقع على قلبه فأخذ الثوب ليمسح الدم، ثم قال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «إلهى تعلم أنهم يقتلون رجلا ليس على وجه الأرض ابن بنت نبى غيره ثم أخرج السهم فانبعث الدم منه ثم صرخ عدو الله ابن شمر فى الجند اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فجعل يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيوف حتى سكن ثم أبت عليهم خِسَّتُهُم إلا أن يمثلوا بجثته فحزُّوا رأسه الشريف ويذكر ابن حجر: أن من مظاهر غضب الله لمقتل الحسين أن اسوَدَّتِ السماء وشوهدت النجوم بالنهار وقد حاق عذاب الله بكل من شارك فى سفك هذه الدماء الزكية وقيل فى ذلك:-

أترجو أمة قتلت حسينًا ∴ شفاعة جده يوم الحساب

وهكذا طويت صفحة من صفحات تاريخ الشهيد الذى كان يقول:

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم ∴ كفى بكى ذلا أن أعيش فأرغما

اللهم اجعله فى الأبرار والأطهار تحت راية جده المصطفى فى الفردوس الأعلى ولا تحرمنا أجره يارب .. آمين .

- آثار استشهاده رضى الله عنه فى المسلمين :

ولم يكن الشيعة فقط هم أكثر الناس ندما على تسببهم فى مقتل الحسين واحتزاز رأسه فى كربلاء بل كان أهل السنة أكثر غضبا وحزنا فقد اتفقوا على أن الخلافة الدينية فى الإسلام قد انتهت بتنازل الحسن للأمويين مهما كان الدافع لذلك من حقن دماء المسلمين واستندوا إلى الحديث النبوى «الخلافة من بعدى ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا» .

ولقد ارتفعت مكانة الإمام الحسين باستشهاده إلى مرتبة لم يبلغها شهيد فى الإسلام ، فقد أصبح مثلا أعلى، وزعيما شعبيا للأمة الإسلامية تحيط به القلوب وقد أصبحت مزاراته فى كثير من بلاد المسلمين مقصد الناس من كل الأنحاء تهفوا إليها أفئدتهم وتسعى لزيارتها، يلتمسون فيها البركة ويجدون فيها عطر النبوة فرضى الله عنه وأرضاه وأسكن حبه فى قلوب العباد.

ولا يفوتنا أن ننوه إلى الأثر الكبير الذى تركه استشهاد الحسين فى نفوس أهل العراق الشيعة الذين خذلوه فقد رأوا أنهم ارتكبوا الخطيئة فى حقه حين تخلوا عنه، فقد أيقنوا أنه لا يغسل هذا الجرم عنهم إلا بقتل من قتله فذهبوا إلى قبره وأخذوا يصيحون ويئنون طالبين التوبة والمغفرة من الله وسموا أنفسهم«بالتوابين» وساروا خلف زعيمهم سليمان بن صرد حتى انتهوا إلى قبر الحسين ونادوا فى صيحة واحدة « يارب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حبيبنا وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نشهدك يارب أنا على مثل ما قتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وبعد ذلك عزموا على قتال ابن زياد قاتل الحسين فالتقوا معه فى معركة انتهت بقتل زعيمهم ابن صرد وتولى زعامة التوابين بعده المختار بن عبيد الله الثقفى الذى دانت له العراق ودخل قصر الإمارة فى الكوفة وطلب البيعة من الناس على أن يطالب بدماء أهل البيت والنهج

على الكتاب والسنة والدفاع عن الضعفاء فبـايعه الناس وقد تمكن من قتل عبيدالله بن زياد وأعوانه قـتلة الحسين ولم يشف غليله إلا بعد أن أحـرق جثة ابن زياد بعـد قتله ومزق جثة قاتل الحسين بيده وألقاها للكلاب فنهشتها نهشًا وبعده قامت ثورات أخرى على بنى أمية كان من نتيجتها زوال الدولة الأموية بفضل الصرخة المدوية التى أطلقها أنصار الحسين والتى نادت بتـدمير الظالمين ودك عروشهم ولقد اسـتمد هؤلاء الأنصار عقيـدتهم من عقيدة الحسين الذى آمن بأن تعطيل حـد من حدود الدين وهو الشورى يعد أكبر بلاء يحيق بالمسلمين ولقد أكثروا الأقوال حول استشهاد الحسين فمن الأقوال قول الفرزدق له قبل استشهاده :«قلوب الناس معك وأسيافهم عليك ».

وكان يرد على من ينصـحونه بالرجوع عن قـراره فى مواجهـة قوات يزيد فى كـربلاء فـيـقول وايم الله لو كـنت فى جـحر هامـة من هذه الـهوام (الحـشـرات) لاستخرجونى حتى يقتلونى ولكن ليقـضى الله أمرًا كان مفعولا لقد غسلت يدى من الحياة وعزمت على تنفيذ ما أراد الله .

كما دفع استشـهاده واحدا من المستشرقين فعقد مـقارنة بين المسيح عليه السلام والحسين رضى الله عنه فشبهوا أيام الآلام بيوم عاشوراء. وأيضاً ذهب بعض المؤرخين المسلمين إلى أن يوم عاشوراء ليس للشيعة فحسب وإنما هو للمسلمين جميعا لأنه يوم جهاد وتضحية وحق وصداقة وليس لهذه المبادىءالعظيمة مذهب خاص بل ولا وطن خاص فالحسين ليس فقط رجل مات شهيداً إنما هو أبو الشهداء وسيد شباب الجنة .

وما أعظم وصف الشاعر المحب لواقعة استشهاد الحسين حين مرَّ بكربلاء

ألم تر أن الشـمس أضـحت مريضـة   لفـقـد حـسين والبـلاد اقـشـعـرت

فـإن قـتـيل الطف مـن آل هاشم   أذل رقـــاب المسلـمين فـــذلت

والطف هو مكان استشهاد الحسين فى كربلاء .

ومما سجله التـاريخ من كلمات فى مناسبة استـشهاد الحـسين رضى الله عنه ما سجله لسان أخته السـيدة زينب رضى الله عنها وقد لازمته فى المعركة حـتى استشهد وحملت مع السبايا من آل البـيت إلى يزيد فى الشام وكـانت قد وقـفت توجه هذا الكلام لأهل الكوفة: يا أهل الكوفة، يا أهل القتل والغـدر أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرّنة إنما مثلكم «كمثل التى نقضت غـزلها من بعد قوة أنكاثا»ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون؟ أى والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا . . ألا ساء ما تزرون فتعسًا ونكسا وبعدا لكم وسحقا، فلقد بؤتم بغضب من الله ورسوله وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم أهل الكوفـة أتدرون أى دم لرسول الله سفـكتم وأى كريمة له أبرزتم وأى حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شـيئًا إدًّا ، أفعجبتم أن أمطرت السماء دما، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأن ربكم لبالمرصاد .

ثم رجاها ابن أخـيها الإمام على زين العـابدين بن الشهيـد الحسين أن تسكت فتوقـفت السيدة عن الكلام بعد أن أثرت فى الجمـيع فأدركوا عظم الفجيـعة بعد أن زلزلتهم الصدمة التى صفقتهم بها رضى الله عنها .

ولما أحضـروا ركب السبايا وعـرض على ابن زياد وكان فيـهم على بن الحسين بعد استشهاد أبيه، سأله ابن زياد من أنت يا غلام ؟ قال: أنا على بن الحسين فقال له ابن زياد: أو لم تُقتل مع أبيك؟ فرد عليه: كان لـى أخ يسمى عليًّا قتله الناس، فقال ابن زياد متهكمـا وساخرًا: بل الله قتله. فقام على زين العـابدين وقال: «الله يتوفى الأنفس حين مَوْتِها»، «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله» فكبر ذلك على ابن زياد فأمر بقتله وصرخت عمتـه السيدة زينب وقامت واعتنقت الغلام وقالت « يا ابن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت فإن أردت قتله فاقتلنى معه .

فـقال لهـا على: اسكتى يا عـمه حـتى أكلمه ثـم قال: يا ابن زياد أبالقـتل تهددنى؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وأن كرامتنا الشهادة!

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يحفظ ذرية آل البيت فى هذا الغلام الساجد السجاد على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنه وأرضاه فعاش وخرج من ظهره سائر أهل البيت الأطهار مع أنه قد استشهد فى كربلاء كثيرون من أبناء الإمام على وكثيرون من أنصار الإمام الحسين بلغ عددهم مائة وتسعة وثلاثون شهيدا وقد رثاهم سراقة الباهلى:

عين جودى بعبرة وعويل واندبى ما ندبت آل الرسول

سبعة منهم يُصلب على قد أبيدوا وسبعة لعقيل

وكانت هذه المعركة أو المجزرة الشنيعة فى العاشر من المحرم سنة واحد وستين للهجرة وهو يوم لا ينساه المسلمون وذكرى تحيى على مر الزمان تحمل أعظم مثل للتضحية والاستشهاد فى سبيل المبدأ أو العقيدة وتغيير المنكر مهما كان الثمن غاليا عزيزا وكان البطل الشهيد فيها هو الإمام الحسين حبيب المصطفى ﷺ على رأس الشهداء من آل البيت وجميعهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين إلى يوم الدين فحياة الإمام الحسين مليئة بالدروس والعظات والمواقف والأحداث التى لا تزال أصداؤها تدوى على مر الزمان وتقول :

حسين لقد كرمت أبا وأمًّا وجدا سيد الدنيا وعَمّا

كما قد طبت نفسا طبت أهلا زكى يابن زكى من زكى

وكذلك كانت حياة الإمام الحسن أخيه رضى الله عنه دعوة للسلام ونبذ الفرقة ورمزا للإيثار وزهدا فى متاع الدنيا الزائل انتظارا لما عند الله من نعيم مقيم فرضى الله عنه قال عنه جده المصطفى: « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»رواه البخارى

فهو الإمام أبو محمد الحسن السبط وأبوه الإمام على رابع الخلفاء الراشدين وأمه السيدة الزهراء بنت مولانا رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين وقد شرفه جده

المصطفى ﷺ كما شرف أخـاه الحسن بنسبهما إليه بالبنوة وإن كـانا من صلب أبيهما على بن أبى طالب كرم الله وجـهه فزادهما شرفا وكـرامة لم ينل مثلها غـيرهما من الأحفاد الأطهار فقـد روى الترمذى رضى الله عنه عن أسامة بن زيد: طرقت باب النبى ﷺ فى بعض الحاجـة فقال لى : «هذان ابنـاى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهـما فأحبهما وأحب من يحبهما ».

كمـا روى عنه ﷺ أنه قال فى الحـسن والحسين: « إنهـما سـيدا شـباب أهل الجنة». وكانت أمهـما تناديهما فتـقول: يا حسنان، مرة وياحسـينان، مرة أخرى من باب المزج والتغليب رضى الله عنهما .

وكذلك كان الإمـام على يشعر بالفـخر بابنيه الحسن والحـسين لما حظيا به من شرف الاعتزاز والإكرام النبوى لهما فكان يقول كرم الله وجهه :

وبنت مـــحـــمـــد سكـنى وعــرس مـشـوب لحـمـهــا بدمى ولحـمى
وســـبطا أحـــمـــد ابنـاى منهـــا فـمن منكم لـه سـهم كـسـهـمى

وأم السبطين الكريمين سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء كانت أحب خلق الله إلى أبيهـا المصطفى ﷺ فكان إذا عاد من سفر بدأ بالمسـجد ركع فيه ركـعتين ثم توجه إلى بيت فـاطمة رضى الله عنها ثم يـأتى بيوت نسائه بعـد ذلك وكانت طاهرة مطهرة عاشت فى طهر وماتت فى طهر .

وقد حدثت أم رافع عن وفاة السيدة فـاطمة الزهراء فقالت . . مرضت فاطمة فلما كـان اليوم الذى توفـيت فيه قـالت لى: يا أمة . . اسكبى لى مـاء فاغـتسلت كأحسن ما كـانت تغتسل ثم لبست ثيابا لها جـددا، ثم قالت: اجعلى فراشى وسط البيت، فاضطجعت عليه، واستقبلت القبلة وقالت: يا أمة، إنى مقبوضة الساعة وقد اغتـسلت فلا يكشفن لى أحد كـفنا. فماتت فـجاء علىٌّ فأخبـرته فاحتلمهـا ودفنها بغسلها ذلك.

وقد حزن كرم الله وجهـه لفقدها حزنا شديدا . . وقد أكرمهـا الله تعالى كرما فى الدنيا بزواجها من ابن عم النبى وأنالها الشرف المعظم فهى بنت النبى ﷺ وصفيته

وأم الأئمة، كمـا أنها نبتُ أم المؤمنين السيدة خديجـة رضى الله عنها التى أقرآها الله السلام وبشرها المصطفى ﷺ بالجنة .

وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ؟ قالت :فاطمة ابنته فقيل ومن الرجال قالت: زوجها كان كما علمت صواما قواما .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قد خَيَّم وهو متكىء على قوس عـربية وفى الخيمة على وفـاطمة والحسن والحسين فقال : مـعشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهـل الخيمة ، حـرب لمن حاربهم ، ولىٌّ لمن والاهم لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد ولا يبغضهم إلا شقى الجد رديء الولادة ».

* * *

- الإمام الحسن مولده ونشأته:-

والإمام الحـسن رضى الله عنه ولد للنصف الأول من شهر رمـضان سنة ثلاث من الهجرة وسماه رسول الله ﷺ « حسنا» .

وقد كـان أبوه قد سمـاه عندما ولد «حـربا» فلما جاء رسـول الله ﷺ قال : أرونى ابنى . . ماسميتموه قال الإمام على :«حَرْباً» قال ﷺ: بل هو «حسن» .

وجاء فى الحديث الشريف: «إن الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على».

وقد لقب رضى الله عنه بألـقاب كثيـرة منها : التقى والـطيب والولى والسبط والسيد وأمير المؤمنين وإن كان أشهرها السبط .

روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه، رأيت النبى ﷺ على المنبر والحسن ابن على معه وهو يقـبل على الناس مرة وعليه مرة ويقـول « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتبن من المسلمين ».

ومعنى السـبط فى اللغة: ولد الولد والأسبـاط فى بنى إسرائيل تقابل القـبائل عند العرب فكأنه رضى الله عنه أمةَ وحده فى خصال الخير وكان رضى الله عنه بكنى بأبى محمد كناه بذلك رسول الله ﷺ .

ويدل على مكانته العظيمة عند جده المصطفى ﷺ ما رواه البخارى ومسلم بسندهما عن البراء أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ والحسن بن على على عاتقه يقول: «اللهم إنى أحبه فأحبه»

وعند أحمد من طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال: « من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى»

وروى الطبرانى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبى ﷺ بايع الحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا قال : «ولم يبايع صغيرا إلا منا» .

وكان الإمام الحسن رضى الله عنه عميد أهل البيت بعد أبيه وأهل البيت كما عرفهم العلماء: هم أولاد بناته ﷺ من السيدة فاطمة الزهراء خاصة؛ لأن السيدة زينب أختهما لم تعقب ذكرا ليكون مثل الحسن والحسين وإنما اعقبت بنتًا هى بنت بنت رسول الله ﷺ بينما خص العلماء أبناء بنته ﷺ فقط لأنه من حيث خصائصه ﷺ أنه ينسب إليه أولاد بناته وهم أولاد فاطمة عليهما السلام، وكذلك أولاد الحسن والحسين ينسبون إليهما وبذلك ينسبون إلى رسول الله ﷺ بينما أولاد أختيهما زينب وأم كلثوم فينسبون إلى أبويهم عبدالله بن جعفر وعمر بن الخطاب لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته ﷺ وإنما خرج أولاد فاطمة فقط للخصوصية التى ورد الحديث بها وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين حيث قال رسول الله ﷺ فيما أخرج الحاكم فى المستدرك عن جابر رضى الله عنه: « لكل نبى أم عصبة إلا ابنى فاطمة أنا وليهما وعصبتهما» .

وفى فضل أهل البيت ووجوب محبتهم .. أخرج البخارى قال:

قال رسـول الله ﷺ: « لكـل شيء أسـاس وأساس الإسلام حب أصـحاب رسول الله ﷺ وحب أهل بيته».

وكان رضى الله عنه قـوى الحجـة يفحم خصـمه، رآه يهـودى ذات مرة يلبس أبهى وأجمل اللباس وكان اليهودى فى ثياب رثة وحـالة سيئة فقال للحسن: « أليس قد قال نبيكم الدينا سجن المؤمن وجنة الكافر»انظر هذا حالى وهذا حالك ، فقال له الحسن رضى الله عنه : لو رأيت ما وعدنى الله من الثـواب والنعيم وما أعد لك من العقاب والجحيم لعلمت أنك اليوم فى الجنة وأنا فى السجن .

ولقد كان الحسن رضى الله عنه رجل السلام بحق فحين سالم معاوية إنما سالمه ابتغـاء مرضاة الله لا خوف أحـد ولا خوف الحرب، فلقد رد على أحـد أعوانه حين أشار عليه بنقض صـحيفة الصلح بينه وبين معـاويه قائلا . . إنى لو أردت بما فعلت الدنيـا لم يكن معـاوية بأصـبر عند اللقـاء ولا أثبت عند الحـرب منى ولكنى أردت صلاحكم وكف بعـضكم عن بعض فارضوا بقـدر الله وقضائه حتى يسـتريح بار أو يستراح من فاجر».

وكان رضى الله عنه عندمـا رأى أن يسلم الأمر لمعاوية بعد أن بقى فـى الخلافة سبعة أشهر قد رأى أن يستشير أهله وخاصته فمنهم من رضى ومنهم من عارض وقد رضى رأيه عبدالله بن جـعفر ودعا له وشجـعه غير أنه عندما عـرض رأيه على أخيه الحسين خاصة رأى أن يوضح له أسباب اتخاذه هذا القرار وكأنه يعلم مسبقا أن أخاه الحسين سيرفض.

فقال له: أى أخى إنى رأيت رأيا وأحب أن تتابعنى عليه .

فقال الحسين: ما هو يا حسن ؟

قال: رأيت إن أعمد إلى المدينة فأنزلهـا وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث، فقـد طالت الفتنة وسـفكت فيـها الدمـاء وقطعت الأرحام وعطلت السـبل وعطلت الثغور.

فقال الإمام الحسين : أعيذك بالله أن تكذب عَلِيًّا فى قبره، وتصدق معاوية .

فقال الحسن رضى الله عنه والله ما أردت أمرا إلا خالفتنى إلى غيره .

فلما رأى الحسين غضب أخيه قال فى أدب رفيع : أنت أكبر ولد على وأنت خليفتى وأمرنا لأمرك تبع فافعل ما بدا لك .

وهكذا ثبت الحسن عند رأيه وتحققت على يده معجزة رسول الله ﷺ حيث قال : إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

ولم تكن معارضة الحسين لرأى أخيه فى الصلح وإيثار السلام بين فئتين من المسلمين استهانة لهذا الرأى إنما هى وجهات نظر وكلاهما مجتهد فى رأيه، وفيما يرى وله أجره، لأن رأى كليهما غير مشوب بهوى فى نفسه بل هو رأى خالص لوجه الله تعالى وقد سبق أن اختلف الصحابة وأبدى كل منهم رأيه بين يدى رسول الله ﷺ حين استشارهم فى أسرى بدر فمنهم من رأى أخذ الفدية ويطلقون الأسرى ومنهم من رأى قتلهم لبدئهم بقتل المسلمين الأوائل من غير إثم ارتكبوه فى حقهم وأقر الله تعالى اجتهاد الصحابة فى ذلك حتى نزل قوله تعالى﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ (١).

ويشهد بإجلال الحسين لأخيه الحسن كلمة العزاء والتأبين التى قالها على قبر أخيه مع أنه كان فى موقف الحزن الذى يشتت الفكر واللسان قال :

«رحمك الله يا أبا محمد، أن كنت لناصرا للحق، تؤثر الله عند مداحض الباطل فى مكان التقية بحسن الروية، تستشف جليل معاظم الدنيا بعين حاذرة، وتقبض عليها بيد طاهرة، وتروع ما يريده أعداؤك بأيسر المؤمنة عليك وأنت ابن سلالة النبوة ورضيع لبان الحكمة ، فإلى روح وريحان وجنة ونعيم ، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأساء عليه.

(١) سورة الأنفال ٦٧ .

ولما كان من المهم أن نعرض موقف الإمام الحسن من بيعة يزيد بن معاوية وكذلك تنازله عن الخلافة رضى الله عنه حقنا للدماء كما أشرنا من قبل فإننا نعرض بإيجاز الظروف التى عايشها الإمام رضى الله عنه ليستبين لنا كيف كان رشده وعقله فيما قرر مختاراً . .

وقد روى الطبرى وابن الأثير وأبو الفرج فى مقاتل الطالبين: أن الإمام الحسن خطب بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين على رضى الله عنهما ومما قال :

«لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان جاهد مع رسول الله ﷺ فيقيه بنفسه ، ولقد كان ﷺ يوجهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ولقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى ابن مريم عليه السلام ، ولقد توفى فيها يوشع ابن نون وصىّ موسى عليه السلام، وما خلف أبيض ولا أسود إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أن يبتاع بها خادما لأهله» ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال: أيها الناس، من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد ﷺ أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعى إلى الله عز وجل. بإذنه، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم فى كتابه إذ قال : ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾[1] . فاقتراف الحسنة مودتنا آل البيت .

ثم قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وقالوا : ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه . ثم نزل عن المنبر.

ولما تبين للإمام الحسن تجسس معاوية عليه ومكره به لانتزاع الخلافة منه كتب إليه رسالة ومما جاء فيها :-

---

(١) سورة الشورى : ٢٣ .

«ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا وإن كنا أمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون سببا إلى ما أرادوا من إفساده اليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، فبالله لتلقين عما قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد . فَدَعِ التمادى فى الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى فإنك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب ، فاتق الله ودع البغى واحقن دماء المسلمين وادخل فى السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ليطفىء الله العدواة ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلا التمادى فى غَيِّكَ سرتُ إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين» .

وقد رد معاوية على رسالة الإمام الحسن ومما جاء فيه قوله :

من معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن على . . سلام عليك . . فقد فهمت ما دعوتنى إليه من الصلح ، والحال فيما بيننا وبينكم اليوم مثل الحال التى كنتم عليها، أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبى ﷺ ، فلو علمت أنك أضبط منى للرعية، وأحوط على هذه الأمة وأحسن للسياسة لأجبتك لما دعوتنى إليه ورأيتك لذلك أهلا، ولكن قد علمت أنى أطول منك ولاية وأقدم منك بهذه الأمة تجربة وأكبر منك سنا، فأنت أحق أن تجيبنى إلى هذه المنزلة التى سألتنى فادخل فى طاعتى ولك الأمر من بعدى ولك ما فى بيت مال العراق بالغا ما بلغ معونة لك على نفقتك يحملها إليك أمينك كل سنة ولك ألا يستولى عليك بالإساءة ولا تعصى فى أمر أردت به طاعة الله.

ولما تطورت الحوادث ما كان من معاوية إلا أن جمع جيشه وسار به قاصداً العراق وبلغ الحسن الخبر ومسير الجيش نحوه فخرج وصعد المنبر وخطب فى الناس ومما قال . . أما بعد: فإن الله كتب الجهاد على خلقه ثم قال لهم اصبروا إن الله مع الصابرين، بلغنى إن معاوية قد بلغه أننا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك هو لذلك

اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا» وقد كان رضى الله عنه يتخوف خذلان الناس له فقد سكتوا وما تكلم فيه واحد .

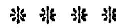
وبعد ذلك لما تبين للإمام تخاذل الكثيرين من أعوانه وَقَلَّبَ الأمر، رأى أن يوضح للناس موقفه فهو يأبى أن يريق الدماء ويشترط على معاوية أن يتفقا معا على صلح بشروط يفرضها على معاوية وفى هذا خير الأمة وأصلح لها . .

وعندما فهم الناس ذلك عارضه أكثرهم وتمادى بعضهم فى الإساءة إليه، ولكن الإمام أصر على موقفه وكتب إلى معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى طالب معاوية بن أبى سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين، وليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده عهدا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وعلى أن أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبى سفيان بذلك عهد الله وميثاقه. وكانت فرحة معاوية بالصلح شديدة وعظيمة وقد عرض على الحسن أن يكون له الأمر من بعده ولكن الحسن أبى إلا أن يكون الأمر شورى بعد معاوية حتى لا يخرج على هذا المبدأ أبدًا.

وعلى نفس المبدأ بذل أخوه الإمام الحسين روحه هو وكثير من أهل البيت الأطهار فيما بعد فى كربلاء غير أن معاوية قد حمل الناس من بعد خلافته بالسيف والسلطان على بيعة ابنه الذى لم يكن أهلاً للخلافة .

وقد رحل الإمام الحسن من العراق ومعه أهل بيته إلى المدينة بعد الصلح، وترك معاوية فى الكوفة، وفى المدينة لقى الحسن إثر وصوله من أهل المدينة من لاموه فى الصلح كما لامه أهل الكوفة من قبل وكان يرد على اللائمين: إنى لأخشى أن ألقى الله عز وجل وقد أريقت دماء المسلمين فيقول كل منهم: يارب فيم قتلت ؟

وكان من أثر هذا الصلح أن ظهر حزب بعد تنازل الحسن سمى حزب الشيعة حيث عندما قتل الإمام على كرم الله وجهه لم يكن له هذا الحزب المنظم، بل كان له أنصار وأتباع فقط وإن كان يطلق عليهم شيعة علىّ إلا أنهم لم يكونوا فى شكل حزب منظم إلا بعد تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة وبعد أن عقد بينهما هذا الصلح ورغم ما لاقاه الحسن من لوم الشيعة له، إلا أنه حاول أن يؤكد لهم وجهة نظره حتى يوافقوه على بيعته لمعاوية ولكنهم أصروا على موقفهم الرافض وزاد تمسكهم بموقفهم عندما أكره معاوية الناس على بيعة ابنه يزيد من بعده وأكره الحسين كما أكره غيره على هذه البيعة، غير أن الحسين ضحى بنفسه وبعض أهله دفاعا عن الحق والعدل فقد رفض بشدة أن يبايع يزيد لأنه يعلم أن يزيد هذا لا يصلح لخلافة المسلمين فكيف يرضى بما لا يرضى الله عز وجل وكان ما كان فى كربلاء .



عميد الأدب العربى يصف الإمام الحسن:

وقد وصفه عـميد الأدب العربى الدكتور / طه حـسين فى كتابه «على وبنوه» «كان الإمـام الحسن رضى الله عنـه عذب الروح، حلو الحـديث ، كريم المعـاشرة، حسن الألفـة، مُحبَّبـا إلى الناس، ويحبـه أترابه من شبـاب قريش والأنصـار لهذه الخصال ولمكانته من النبى ﷺ، ويحبه عامة الناس لكل هذا ولسخائه وجوده وإعطائه المال حين يسأل وحين لا يسأل .

وكان رضى الله عنه معـروفا بحسن عشرته لزوجـاته فقد تزوج رضى الله عنه عدة مرات فكان يمسكهن بمعروف ويسرحهن بإحسانه .

ومع كثـرة زواجه وطلاقه كان الـناس يرغبون فى مصـاهرته لصفاته وسـجاياه الحميدة وصدق الفرزدق حين وصف أخلاق أهل البيت فى أخلاقه رضى الله عنه :

إنْ عُدَّ أهلُ التقى كانوا أئمتهم ∴ أو قيل من خير أهل الأرض قيل همُ

ولقد كان رسول الله ﷺ قد تركه وهو فى الثامنة من عمره فقد كان من الذكاء بحيث وعى وحـدث، فقد قام على تربيتـه وتعليمه بعد جـده أبوه الإمام على الذى كان فى العلم بحرا زاخرا فكان علم الإمـام الحسن موروثا من المنبع الأصلى حتى إنه كان يقول لبـنيه وبنى أخيه الحسين: تـعلموا العلم فإن لم تستطيـعوا حفظه فاكـتبوه وضعوه فى بيوتكم فكان راسخا فى العلم قويا فى المنطق عميقا فى الفصاحة .

فقد سئل ذات مرة بم عرفت ربك؟ قال: بفسـخ العزيمة وقصر المشيئة وضعف الأركان، وتحويل الحالات والأزمان.

فعندما كتب الحسن البصرى إلى الإمـام الحسن يسأله عن القضاء والقدر فكتب الإمام الحسن يقول له :

من لم يؤمن بقضاء الله وقدره ، خيره وشره، فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على

ربه فقد فجر، وإن الله تعالى لا يطاع استكراها، ولا يعصى بغلبة، لأنه تعالى مالك لما ملكهم، وقادر على ما أقدرهم، فإن عـملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا ، فإن لم يفـعلوا فليس هو الذى أجبـرهم على ذلك، ولو أجبر الخلـق على الطاعة لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم فذلك عجـز فى القدرة ولكن الله له فيهم المشيئة التى غيبـها عنهم فإن عملوا بالطاعة فلـه المنة عليهم وإن عملوا بالمعصيـة فله الحجة عليهم .

وكان نقش خاتمه رضى الله عنه « العزة لله»

كما كان رضـى الله عنه ذا مهابة ووقار حتى لقد كـان معاوية وهو فى سلطانه يهابه ويخـشاه وكثـيرا ما صـرح لجلسائه بذلك، وقد حـدثت زينب بنت أبى رافع فقـالت: أتت فـاطمة رضى الله عنهـا إلى أبيهـا فى شكوة مرضـه الذى توفى فـيه فقـالت: يا رسول الله هذان ابناك تورثهـما شيـئًا فقال : أمـا الحسن فإن له هيـبتى وسؤددى وأما الحسين فإن له جرأتى وجودى .

ولم يكن حبـه للمسالمة نوعا مـن الاستسلام على حـساب الحق الواجب، إنما سالم الأمويين ابتغاء رضوان الله ودفعا للضرر الذى قد يصيب الأبرياء من الأمة ودفع الضرر مـقدم علي جلب.المنفعة كـما هو معـروف فى القواعد الشرعـية، ويدل على ذلك أنه كان يصون كـرامته وبجد لا يعرف الهـزل وبحمية هاشميـة لا تعرف التردد وتلك عـزة المسلم التى يحبـها الله ورسولـه ﷺ ويدل على جرأة الإمام الحـسن هذا الموقف:

روى ابن أبى حديد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهـما قال : دخل الحسن ابن علىّ على معـاوية بعد عام الجـماعة وهو جـالس فى مجلس ضـيق فجلس عند رجليه ، فتحدث معاوية ما تحدث، ثم قال: عجبا لعائشة ، تزعم أنى فى غير ما أنا أهله وأن الذى أصـبحت فـيه ليس لى بحق ومـالها ولهـذا يغفـر الله لها، إنمـا كان ينازعنى فى هذا الأمر أبو هذا الجالس وقد استأثر الله به .

فقال الحسن: أو عجب ذلك يا معاوية. قال: أى والله . قال: أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا، قال :ما هو ؟ قال: جلوسك فى صدر المجلس وأنا عند رجليك.

فضحك معاوية وقال: يا ابن أخى بلغنى أن عليك دينا ،قال: إن لعلى دينا قال: كم هو؟قال: مائة ألف قال: أمرنا لك بثلاثمائة ألف مائة منها لدينك، ومائة تقسمها فى أهل بيتك، ومائة لخاصة نفسك فقم مكرما واقبض صلتك، فلما خرج الحسن رضى الله عنه قال يزيد بن معاوية: تالله ما رأيت رجلا استقبلك بما استقبلك به ثم أمرت له بثلاثمائة ألف، قال: يا بنى إن الحق حقهم فمن اتاك منهم فأعرف له ذلك .

ولقد كانت ديون الحسن رضى الله عنه تأتيه من كثرة بذله وجوده وعطائه للمحتاجين فقد كان سخيا شديد السخاء .

يا بنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، وأحب لغيرك ما تحب لنفسك ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ولا تقل مالا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل مالا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الذى بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك فى الدعاء وتكفل لك بالإجابة، وأنزل أن تسأله ليعطيك، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة فلم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة وجعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا.

واعلم يا بنى أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء فكن من الموت على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة.

يا بنى أكرم نفسك عن كل دنية ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا فإن اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كل منه.

يا بنى قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم ، بئس الطعام

الحرام وظلم الضعيف أفحش الظلم، لا خير فى معين مهين ، ولا فى صديق ظنين.

لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادى صديقك وأخلص أخاك النصيحة وتجرع الغيظ فإنه ليس هناك جرعة أحلى منها عاقبة.

يا بنى لِنْ لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك، وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوما ما. ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد عنك ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان».

واعلم يا بنى أن الرزق رزقان رزقًا تطلبه ورزق يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك.

يا بنى اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين واستودع الله دينك ودنياك واسأله خير القضاء لك فى العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة والسلام.

فهذه الوصية درة من درر الأدب والحكمة أوردها فى نهج البلاغة ابن أبى حديد كاملة وقد كتبها الإمام على لابنه الحسن عند انصرافه من صيفه وهى ليست إلاّ منهجا للمسلم يهتدى بها . .

نعود إلى مآثر الإمام الحسن وخصاله وعبادته فقد كان كما ذكر عميد الأدب العربى فى كتابه« على ونبوه» كان يصبح فيصلى الصبح ويجلس فى مكانه حتى إذا ارتفعت الشمس طاف بأمهات المؤمنين زائرًا لهن ، متحدثًا إليهن وكان يبرهن ويبرونه ويهدى إليهن ويهدين إليه، ثم بعد ذلك يفرغ لبعض شأنه. فإذا صلى الظهر جلس للناس فى المسجد فأطال الجلوس يسمع منهم ويقول لهم ، فيعلم من احتاج منهم للعلم ويؤدب من احتاج منهم للأدب ويسمع من شيوخ الصحابة ما يفيده علما وأدبا وكان فى أثناء ذلك كله إذا ذكر السلطان أو ذكر السلطان عنده يعرف الخير، وينكر الشر فى أرق لفظ وأعذبه.

ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة إن ذكر أبوه بغير ما يحب وكان بعد هذا كله يحسن كما أحسن الله إليه ولا ينسى نصيبه من الدنيا ولقد كان رضى الله عنه وفيا لأهله وأصحابه أحسن الوفاء حتي أنه اشترط على معاوية ألا يتعرض لأحد منهم بسوء ولما أراد معاوية أن يستثنى واحدا منهم مثل « قيس بن سعد» هدده الإمام الحسن بالعدول عن الصلح فاضطر معاوية أن يلتزم بشرطه .

كما كاتب معاوية عندما هم ابن زياد قائد جيش معاوية أن يسىء إلى أصحابه فأمر معاوية زيادا أن يكف عن الإساءة إلى أصحاب الحسن.

ولقد كان الإمام الحسن وأخوه الحسين رضى الله عنهما من أبرز المجاهدين فى سبيل الله فحضرا مع أبيهما معارك الجمل وصفين وقتال الخوارج وذلك كما كانا فى المدد الذى أرسله أمير المؤمنين عثمان بن عفان لنجدة عبدالله بن أبى السرح فى فتح شمال أفريقيا عام ستة وعشرين للهجرة .

وكذلك كانا رضوان الله عليهما فى الجند المقاتلين فى فتح طبرستان بأمر أمير المؤمنين عثمان، كانا جنديين فى جيش سعيد بن العاص عام ثلاثين للهجرة. وكان الحسن والحسين أول المدافعين عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين هاجمه الثوار ، فقد أمرهما أبوهما أن يحمياه بسيفهما ففعلا ولم يستطع الثوار الدخول على الخليفة من الباب فتسوروا عليه الدار وقتلوه وكان أمر الله «قدرا مقدورا» - وقد كان جوده مثلا فى الكرم النبوى الذى لا يخشى الفقر . فروى أنه دخل على أسامة بن زيد فى مرضه الذى مات فيه وكان أسامة يشكو دينا عليه ويخشى أن يموت قبل أن يقدر على أدائه فلما سمع بذلك الحسن رضى الله عنه قال له: يا أخى وما دينك؟ فقال أسامة: ستون ألف درهم، فقال له: اطمئن هو علىَّ وقام من فوره، وقضى دينه وأعاد الطمأنينة إلى أخيه أسامة فسره الله وفرَّج عنه همَّه ثم سأله الدعاء له .

عن وصية أمير المؤمنين على لابنه الحسن إلى المولود المؤمل ، غرض الأسقام

ورهينة الأيام ورمية المصائب وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الأحزان .

أما بعد . . فإنى فيما تبينت من إدبار الدنيا عنى وجموح الدهر على وإقبال الآخرة إلى ما يزعنى عن ذكر من سواى والاهتمام بما ورائى ، فصدقنى رأيى ، فقد وجدتك بعضى بل وجدتك كلى حتى كأن شيئًا لو أصابك أصابنى فكأن الموت لو آتاك أتانى فكتبت إليك كتابى مستظهرا به إن أنا بقيت لك أو فنيت .

فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله، يا بنى أحيى قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة، وقوِّه باليقين، ونوره بالحكمة ، وأعْرض عليه أخبار الماضين، وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وجاهد فى الله حق جهاده، ولا تأخذك فى الله لومة لائم وتفقه فى الدين، وعود نفسك الصبر على المكروه فنعم الخلق التصبر فى الحق.

وأخلص فى المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة ، وكفهم وصيتى.

أى بنى لما رأيتنى قد بلغت سنا، ورأيتنى أزداد وهنا بادرت بوصيتى إليك فبادرتك بالأدب قبل أن يقسوَ قلبك ويشتعل لبك فتكون قد كفيت مؤنة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة فاستبان لك ما ربما أظلم علينا منه، أى بنى إنى قد استخلصت لك من كل أمر جليله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله، وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نِيَّةٍ سليمة ونفس صافية فأبْتَدِئك بتعظيم كتاب الله عز وجل وتأويله وشرائع الإسلام وأحكامه وجلاله وحرامه لا أجاوز ذلك بك إلى غيره، ورجوت أن يوفقك الله إلى رشدك وأن يهديك لقصدك فعهدت إليك وصيتى هذه. . فاعلم يابنى أن أحب ما أنت آخذٌ به من وصيتى تقول: الله والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك والصالحون من أهل بيتك، فإن أيقنت أنه قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك فاجتمع فانظر فيما فسرت لك .

وإن أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك فاعلم أنك إنما تخبط العشواء فالإمساك عن ذلك أفضل فتفهم يا بنى وصيتى واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة وأن الخالق هو المميت وأن المبتلى هو المعافى فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك.

- وفاته رضي الله عنه:

قال أبو الفرج: دَسَّ معاوية السم للإمام الحسن حين أراد أن يعهد بالخلافة إلى يزيد ابنه بعده ، وكان الذى تولى ذلك الجرم الفظيع زوجته اللعينة جعدة لمال أعطاها معاوية ، فقد أرسل إليها إنى مزوجك بيزيد ابنى على أن تسمى زوجك الحسن بن على وبعث إليها بمائة ألف درهم فقبلت وسمت الحسن فأعطاها المال ولم يزوجها من يزيد وتزوجت من غيره وأنجبت وكان الناس يعيرون أبناءها يقولون يا بنى مسمة الأزواج.

وقال أبو الفرج كانت وفاته رضى الله عنه بعد عشر سنين خلت من إمارة معاوية وذلك فى سنة خمسين من الهجرة وقيل إنه توفى فى سنة تسع وأربعين من الهجرة فرضى الله عنه والله أعلم بكيفية موته فقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية أنه مات من مرض أصابه قبل وفاته ، فقد نسب البعض دس السم له إلى يزيد بن معاوية نفسه.

وروى أن الإمام الحسن كان قد أرسل إلى السيدة عائشة أم المؤمنين أن تأذن له أن يدفن مع جده المصطفى ﷺ فقالت : نعم ما كان بقى إلا موضع قبر واحد فلما سمعت بذلك بنو أمية اشتملوا بالسلاح هم وبنو هاشم للقتال وقالت بنو أمية: والله لايدفن مع النبى ﷺ فلما بلغ ذلك الحسن أرسل إلى أهله أما إذا كان هذا فلا حاجة لى فيه ادفنونى إلى جانب أمى فاطمة فدفن فى البقيع إلى جانب أمه وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أميراً للمدينة .وقد قدمه الإمام الحسين للصلاة على أخيه وقال: لولا أنها سنة ما قدمتك.

وكان الإمام الحسن رضى الله عنه قد أوصى أخاه الإمام الحسين لما حضرته

الوفاة قال : يا أخى إن أبانا رحمه الله تعالى - لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف إليها أيضا فصرفت عنه إلى عمر . فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم ، فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه إلى عثمان فلما هلك عثمان بويع ثم تورع حتى جرد السيف وطلبها فما صفا له شىء منها وإنى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة فلا أعرفنك استخفك أهل الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت إلى عائشة إذا متُّ أن تأذن لى فأدفن فى بيتها مع رسول الله ﷺ فقالت نعم، وإنى لا أدرى لعل ذلك كان منها حياء فإذا أنا مت فاطلب ذلك إليها ، فإن طابت نفسها فادفنى فى بيتها وما أظن إلا القوم سيمنعونك إذا أردت ذلك فإن فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد عند قبر أمى .

وفعل الحسين ذلك ودفن أخاه فى البقيع وقيل إن البقيع يومها لو طرحت فيه إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان لشدة الزحام .

وبعد أن رثاه أخوه الحسين قام فرثاه أخوه محمد بن الحنفية ومما قال: «لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمنه بدنك ، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقب الهدى، وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء، غذتك بالتقوى أكف الحق وأرضعتك ثدى الإيمان وربيت فى حجر الإسلام فطبت حيا وميتا ، وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقك رحمك الله يا أبا محمد ثم أنشأ يقول :

أأدهن رأسى أن تطيب مجالسى ... وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه ... وقد ضمن الأحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة ... وما اخضر فى أرض الحجاز قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه ... ألا كل من تحت التراب غريب

وبعدها قام رجال كثيرون فرثوه شعرا ونظما وهكذا كانت حياته رضى الله عنه وكانت وفاته وما شاء الله كان وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما كان مما ينفع المرء بعد موته علم ينتفع به فهذه بعض مقتطعات من علمه وحكمه ومن ذلك مما سجل له:

«حسن السؤال نصف العلم، من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه» كما قال فى الصمت «فاعله فى راحه وجليسه فى أمن».

وكان يقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير الحالة التى اختارها الله له .

يا ابن ادم عف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما ، وصاحب الناس بما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلا .

وكان يقول : لا أدب لمن لا عقل له ولا مودة لمن لا همة له، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تُدرك الداران معا.

هلاك الناس فى ثلاث: فى الكِبْر، والحرص، والحسد. فالكِبْرُ هلاك الدين وبه لعن إبليس والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل أخاه هابيل.

وقال رضى الله عنه: لا تأت رجلا إلا أن ترجو نواله أو تخاف يده أو تستفيد من علمه ، أو ترجو بركته ودعاءه ، أو تصل رحما بينك وبينه ومن حكمته شعرا :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ∴ إن اغترارا بظل زائل حمق

الإمام الحسين رضى الله عنه وأرضاه

– مولده ونشأته رضى الله عنه:

الإمام الحسين رضى الله عنه أشهر فى بلاد المسلمين شرقا وغربا من أن يعرف، فهو سيد شباب أهل الجنة، سبط رسول الله ﷺ وحفيده وأحد خاصة أهل البيت رضى الله عنهم وحبيب جده المصطفى ﷺ والعالم وارث العلم المحمدى، والعابد والجواد والبطل الشهيد ريحانة رسول الله ﷺوأكثر الناس شبها بجده المصطفى ﷺ .

ولد رضى الله عنه فى المدينة المنورة لِأَبَوَيْنِ كريمين هما الإمام على كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء ابنة النبى ﷺ وأحب الناس إليه، ولد لخمس ليال خلون من شهر شعبان المبارك من السنة الرابعة للهجرة بعد عامين من ولادة أخيه الحسن رضى الله عنهما.

وفى ليلة ولادته لم يبارح الرسول ﷺ منزل ابنته الزهراء حتى اطمأن عليها وعلى المولود وسماه حسينا وكان أبوه الإمام على كرم الله وجهه قد سماه حربا .

فلن ترى فى العلا أما كفاطمة ∴ ولن ترى كعلىٍّ فى الفخار أبا

وقالت السيدة أسماء بنت عميس أم الإمام على كرم الله وجهه: عندما ولد الحسين جاء لى النبى ﷺ وقال: يا أسماء هات ابنى، فدفعته إليه ﷺ فى خرقة بيضاء فاستبشر به وأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى ثم وضعه فى حجره وبكى.

قالت أسماء : فقلت : فداك أبى وأمى مم بكاؤك يا رسول الله؟

قال : على ابنى هذا . . يا أسماء تقتله الفئة الباغية. لا أنالهم الله شفاعتى يا أسماء لا تخبرى فاطمة بهذا فإنها قريبة العهد بولادته ثم قال لعلى : أى شيء سميت ابنى ؟ قال ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله وقد كنت أحب أن أسميه حربا .

فقال الرسول ﷺ: سمّه حسينا وهو اسم لم يكن لأحد قبله ولما كان اليوم السابع سماه حسينًا وعق ﷺ بكبشين وأمر أمه أن تحلق شعر رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن وقيل إن الحسين لم يرضع من الزهراء ولا من غيرها ليومين أو ثلاثة بعد ولادته بل كان النبى ﷺ يضع إبهامه فى فيه فيمص منه ما يكفيه من اللبن فنبت لحم للحسين من لحم الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكان رضى الله عنه يكنى بأبى عبدالله كما كان له ألقاب كثيرة منها الرشيد، الطيب الزكى، المبارك، السبط، السيد، وأعلاها رتبة ما لقبه به جده ﷺ قال: «حسين سبط من الأسباط» أى أمة من الأمم وقال عنه وعن أخيه الحسن: « إنهما سيدا شباب أهل الجنة» .

- صفاته وشخصيته رضى الله عنه:

أجمع المؤرخون على أن الإمام الحسين رضى الله عنه كان أشبه الناس جسما بجده المصطفى ﷺ فكان متوسط الجسم أسود الشعر واللحية، قوى البنية، مقداما منذ طفولته، ولم يتزوج رضى الله عنه زوجات كثيرات كما لم ينجب كثيرا ، وكان كثير الصوم والصلاة والحج فكان كثير الصلاة فى النهار والليل بخلاف الصلوات الخمس المفروضة وحج بيت الله الحرام خمسا وعشرين مرة كما كان كثير التصدق قاضيًا حوائج الناس ولذا زخرت المراجع بمواقف جوده وكرمه.

كما كان رضى الله عنه واسع العلم والمعرفة فقيها فى أمور دينه ودنياه أيضا. وله فى ذلك أقوال جرت مجرى الحكم ومنها : إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقما، واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ويعقب أجرا فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه رجلا جميلا يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم رجلا لرأيتموه رجلا قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتعفى دونه الأبصار .

وكان يقول : من جاد ساد ، ومن بخل ذل، ومن تعجل لأخيه خيرا وجده

وإذا قدم على ربه عزا [١] . ومن أقواله كذلك : « الحلم زينة، والوفاء مروءة والصلة نعمة، والاستكثار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف والغلو ورطة ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسوق ريبة».

وقد أورد ابن شهاب الكردى فى مناقبه موقفا للحسن والحسين يدل على رجاحة عقليهما وأدبهما الجم فقد أبصرا على شط نهر الفرات أعرابيا يتوضأ، فخفف من وضوئه فلم يحاولا تجريح الرجل بانتقاده لكنهما طلبا من الرجل أن ينظر إلى وضوء كل منهما ويحكم بنفسه على أيهما أحسن الوضوء من صاحبه فهما شباب وهو شيخ وأكثر منهما علما فلما شاهدهما الأعرابى أدرك خَطأهُ فى الوضوء وتعلم كيف يصحح وضوءه من غير أن يشعر بخجل .

لقد أحاطت العناية الربانية بالسبطين الحبيبين، روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ وإذا بفاطمة رضى الله عنها قد أقبلت تبكى فقال لها النبى ﷺ: «ما يبكيك لا أبكى الله لك عينا» فقالت: يا أبت إن الحسن والحسين قد ذهبا اليوم ولم أعلم أين ذهبا وإن عَلِيًا مشى ليسقى البستان وقد استوحشت لهما، فقال لها النبى ﷺ: لا تبكين فإن الله ألطف بهما منى ومنك ، وقال: يا أبا بكر، اذهب فاطلبهما ويا سلمان، . . . . . ثم لم يزل يوجه حتى مضت طائفة فى طلب الحسن والحسين فرجعوا ولم يصيبوهما فاغتم النبى ﷺ ثم قام ووقف على باب المسجد وقال : إلـهى بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفوتك إن كان قرتا عينى فى بحر أو بر أو سهل أو جبل فاحفظهما وسلمهما لأمهما فنزل الأمين جبريل وقال : السلام عليك يا رسول الله الحق يقرئك السلام ويقول لك « لا تحزن ولا تغتم الغلامان هما الفاضلان فى الدنيا والآخرة وإنهما فى حديقة بنى النجار وقد وكلت بهما ملكا يحفظهما إن قاما أو قعدا أو ناما أو استيقظا» ففرح النبى ﷺ فقام ومعه بعض أصحابه حتى دخل الحديقة فوجدهما نائمين ، فجثا النبى ﷺ على ركبتيه

(١) الطبقات للشعرانى جـ ١ .

وقبلهما وهو يقول «حبيبىَّ ،حبيبىَّ»، حتى استيقظا فحملهما على كتفيه، الحسن على عاتقه الأيمن والحسين على عاتقه الأيسر وكان يقبلهما ويقول: « من أحبكما فقد أحبنى ومن أبغضكما فقد أبغضنى » .

فقال أبو بكر رضى الله عنه: اعطنى أحمل أحدهما يا رسول الله قال : نعم المطى مطيهما ونعم الراكبان هما، وما زال النبى ﷺ سائرا حتى دخل المسجد وبعث بهما إلى ابنته فتولاها السرور والحبور .

ولقد كان الحسين رضى الله عنه ملء العين والقلب من خلق وأدب وكان الغالب على الحسين الشدة كوالده الإمام على وعلى الحسن الحلم والأناة كجده ﷺ.

ومر الحسين على صبية ومعهم كسرات خبز فسألوه أن يجلس ويأكل معهم فجلس وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وقال: إنهم أسخى منى فقد بذلوا جميع ما قدروا عليه وأنا بذلت بعض ما أقدر عليه .

وجاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة، فقال يا أخا الأنصار، صُن وجهك عن ذلة المسألة، وارفع حاجتك فى رفعة فإنى آت فيها ما هو سارك إن شاء الله ، فكتب الأنصارى يا أبا عبدالله إن لفلان على خمسمائة دينار وقد ألح على فكلمته أن ينظرنى إلى ميسرة .

فلما قرأ الحسين رضى الله عنه الرقعة دخل إلى منزله وأخرج صرة فيها ألف دينار وقال له: أما خمسمائة فاقض بها دينك، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك ولا ترفع حاجتك إلا إلى ثلاثة إلى ذى دين أو مروءة أو حسب فأما ذو الدين فيصون دينه وأما ذو المروءة فإنه يستحى لمروءته ، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك إن تبذله فى حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك.

وروى ابن عساكر فى تاريخ دمشق أن سائلا خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى

باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك ومن   حَرّك من خلف بابك الحلقة
فأنت ذو الجود أنت معدنه   أبوك قد كان قاتل الفسقة

وكان الحسين واقفا يصلى فخفف من صلاته وخرج إلى الأعرابى فرأى عليه أثر ضر وفاقه فنادى مولاه وقال له : ما تبقى معك من نفقتنا فقال: مائتا درهم أمرتنى أن أفرّقها فى أهل بيتك فقال الحسين: هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم فأخذها وخرج يدفعها إلى الأعرابى وأنشأ يقول :

خذها فإنى إليك معتذر   واعلم بأنى عليك ذو شفقة
لو كان فى سيرنا عصا تمد اذن   كانت سمانا عليك مندفقة
لكن ريب الزمان ذو نكد   والكف منا قليلة النفقة

فأخذها الأعرابى وولى وهو يقول :

مطهرون نقيات جيوبهم   تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا
وأنتم أنتم الأعلمون عندكم   علم الكتاب وما جاء به السور

وهذا الحسن فى كرمه كذلك:

وجاء رجل إلى الإمام الحسن يستعين به فى حاجته فاعتذر لاعتكافه فلما دخل الرجل عليه فقام الحسن وقضى لرجل حاجته وقال : لقضاء حاجة لله عز وجل أحب إلىّ من اعتكافى شهرا ثم قال : « إن من نعم الله علينا حوائج الناس إلينا فلا نمل من تلك النعم فتعود نقما فالمعروف يكسب حمدا ويعقب أجرا .

كان الحسين رضى الله عنه خطيبا مفوها وكذلك كان الحسن فقد لقنا العلم من آفصح من نطق بالضاد ﷺ ومن أبيهما الذى كان كلامه بعد كلام النبى ﷺ ومن أمهما سيدة نساء العالمين التى أخذت أدب الكلام من أبيهما وقد لقنا رضى الله عنهما

خير ما تعلمه أقرانهما من فنون العلم والأدب والفروسية .

وكان الحسين يخطب يوم عاشوراء حين اشتد الخطب وعظم البلاء وتجمعت الأهوال فلم يزعزعه الموقف ولا اضطرب ولا تعيىر فخطب فى أهل الكوفة بلسان طلق وقلب قوى ثابت ومن كلامه المرتجل فى توديع أبى ذر حين أخرجه عثمان من المدينة بعد أن أخرجه معاوية من الشام .

« يا عماه إن الله قادر أن يغير ما ترى، والله تعالى كل يوم هو فى شأن وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك وما أغناك عما منعوك .

وأحوجهم إلى ما منعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع والجزع فإن الصبر من الدين والجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر أجلا .

واستمع إليه حينما سأله عدوه رأس الخوارج نافع بن الأزرق قائلا: يا حسين صف لى إلهك الذى تعبده.

قال: يا نافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر فى الالتباس، يا ابن الأزرق أصفُ إلهى بما وصف به نفسه، فسبحانه لا يدرك بالحواس ولا يُقاس بالناس، ولا يقع تحت القياس ، قريب غير ملتصق ، بعيد غير مستقصى معروف بالآيات، موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال .

فقال ابن الأزرق: «ما أحسن كلامك إنكم قوم خصمون» أى لقنتم الحجة وتفحمون من يجاريكم .

فقال له الحسين: بلغنى أنك تشهد على أبى وعلى أخى بالكفر وعلىّ فأنكر ابن الأزرق فقال له الحسين : إنى سائلك عن مسألة، ما تقول فى قوله تعالى: ﴿ **وأمَّا الجدار فكان لِغُلمَيْنِ يتيمين فى المدينة** ﴾ [1] .فمن حفظ فى الغلامين ؟ فقال ابن الأزرق: أبوهما .

---

(١) الكهف: ٨٢

فقال الحسين: أبوهما خيــر أم رسول الله؟ افهمت يا ابن الأزرق. ومن حكمته وما أثر عنها منها :

ذات مــرة أوصى ابنه على زين العابديــن فقــال له : يا بنى إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا إلا الله تعالى .

وقال : إذا سمعت أحــدا يتناول أعراض الناس فاجتهد ألا يــعرفك فإن أشقى الأعراض به معارفه.

وقال : «لا تتكلف مالا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعد بمالا تقدر عليه ولا تنفق إلا بقدر ما تســتفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقــدر ما صنعت ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلا له».

ومن خطبة فى الحرب التــى كتب له أن ينزلها بعد أن حمــد الله قال : قد نزل من الأمر ما ترون وإن الدنيا قــد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفهــا وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء.

ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه وإنى لا أرى الموت إلا سعادة ولا أرى الحياة مع الضالين إلا جرما .

وكان الحــسين يقــرض الشعر ولــكنه لم يكن يرغب فى أن يكون ذا باع فــيه فاقتصــر على بعضه ومما روى من شعره فى بعض الأغراض مــا قصد به من الحكمة والموعظة :

إذا مــــا عــــضـك الدهــر ... فـــــــلا تجـنـح إلى الخـلـق
ولا تــســـأ ل ســـوى الله ... تعـــــالى قــــاسم الـرزق
فـلـو عـــــــشـت وطَوَّفْتَ ... من الـغـــرب إلى الـشــــرق
لمـا صـــــادفـت مـن يـقْدِ ... ر أنْ يُعْد أو يـشـــــــقـى

ومما قال حين زار مقابر المدينة بالبقيع :

ناديت سكـان القبـور فـأسكنوا   فأجـابني عن صمتهم تُرْب الحـشا
قـالت: أتدرى ما صنعت بسـاكنى   مـزقت لحمـهمـو وحرقت الكسـا
وحـشـوْت أعـينهم ترابا بعـدمـا   كـانت تؤذى بالقـليل من القـذى
أمـا الـعظام فـإننى مـزقـتـهـا   حـتى تبـاينت المفـاصل والشـوى
فـقطعت ذا مـن ذا ومن هذا كـذا   فـتـركـتـها ممـا يطوف بهـا البلى

وفى اليوم الذى استشهد فيه بعد أن حمد الله وأثنى عليه . . قال: يا عباد الله اتقوا الله وكونـوا من الدنيا على حذر فإن الدنيـا لو بقيت لأحد أو بقى عليـها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضـاء وأرضى بالقضاء ، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للبـلاء ، وخلق أهلها للفناء ، فجـديدها بال ونعيمـها مضمـحل، وسرورها مكفهر فتزودوا وخير الزاد التقوى : ﴿ **فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تتقون** ﴾.

وكذلك كانت سرعة بديهته وفصاحته مضرب الأمثال . . .

يروى أنه دخل على معاوية ذات مرة فقال له مـعاوية مداعباً: يا أبا عبدالله إن فى بنى هاشم غلمة ومن أجل ذلك يكثـرون من الزواج فأجابه الحسين مبتـسما: إن الغلمة التى فى رجال بنى هاشم هى فى نساء بنى أمية .

كما يروى أنه لمـا سمع أن معاوية قد اشـتد عليه المرض قصـد إلى زيارته فلما علم معاوية بمقدمه قال لأهله عطرونى وألبسونى أحسن ثيابى وأجلسونى على فراشى ففعلوا ثم أذن للحسين فدخل وقال كيف حال أمير المؤمنين ؟ فأجابه معاوية :

وتجلدى للشامتين أريهمو ∴ أنى لريب الدهر لا أتضعضع

فرد عليه الحسين على الفور :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ∴ ألفيت كل تميمة لا تنفع

فبكى معاوية وقال هذا لسان النبوة.

أما إباؤه للضيم ومقاومته للظلم واستهانته القتل فى سبيل الله وفى سبيل الحق فذلك هو مضرب المثل فى شجاعة المؤمن فقد كان مثالا يحتذى به كل ذى نفس أبيةٍ وهمَّةٍ عالِيَةٍ فبقى ذكره خالدا ما بقى الدهر رمزا للبطولة والفداء .

لقد أبى أن يبايع يزيد بن معاوية ، وقال قولته المشهورة « يا مروان وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد» كما قال لأخيه محمد بن الحنفية: والله لو لم يكن فى الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية» فى حين أنه لو بايعه لنال من الدنيا الحظ الوفير فلا يرد له طلب مهما كان لما كان يعرفه يزيد من مكانة الحسين عند المسلمين جميعا فكان يتمنى لو يبايعه الحسين ويبذل فى سبيل إرضائه كل غال، ولكن الحسين أبى وقال: « إنَّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومُختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل قاتل النفس المحرمة فمثلى لا يبايع مثله».

وقد حذره كثير من أصحابه ومحبيه فقال أحدهم: يا حسين أذكرك الله فى نفسك فإنى أشهد لئن قاتلت لتقتلن ، فأجابه الحسين مظهرا له استهانة الموت فى سبيل العقيدة والحق فقال : أفبالموت تخوفنى؟ أقول لك كما قال أخو الأوس وهو يريد أن ينصر رسول الله ﷺ فخوفه ابن عم له فرد عليه وقال :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما

أقدم نفسى لا أريد بقاءها ... لتلقى خميسا فى الوغى وعرمرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم ... كفى بك ذلا أن تعيش فترغما

ثم قال: ليست الحياة مع الذل إلا الموت الذى لا حياة معه وهل يقدرون على أكثر من قتلى مرحبا بالقتل فى سبيل الله ولكن لا يقدر أحد على هدم مجدى ومحو عزمى وشرفى إن موتاً فى عز خيرٌ من حياة فى ذل.

ولما أحيط به فى «الطف» فى أرض المعركة التى استشهد فيها وقالوا له: انزل على حكم بنى عمك، قال: لا والله لا أعطيكم بيدى إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد إنما أختار المنية على الدنية وموت الشرف على عيش الذل . .

ثم أقدم رضى الله عنه على الموت مقدما نفسه وأولاده وأطفاله وأهل بيته للقتل وفاء لدين جده ﷺ بكل سخاء وطيب نفس وكأن لسان حاله يقول :

إن كان دين محمد لم يستقم ∴ إلا بنفسى يا سيوف خذينى

لذلك كانت شجاعته هى الصفة الغالبة عليه وهى صفة ورثها عن الآباء وأورثها الأبناء بعده .

حتى قيل: إن أبيات أبى تمام فى محمد بن حميد الطائى ما كانت تقال إلا فى الحسين رضى الله عنه ومنها:

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى ∴ لها الليل إلا وهى سندس خضر

فالحسين هو الذى صبر على طعن الرماح وضرب السيوف ورمى السهام حتى صارت السهام فى درعه كالشوك فى جلد القنفد فى كربلاء وحتى وجد فى ثوبه بعد استشهاده مائة وعشرون رمية بسهم وفى جسده ثلاثون طعنة برمح وأربع وثلاثون ضربة بسيف وذلك بعد أن ضيق جنود ابن زياد الخناق عليه فى كربلاء ومنعوه ومن بقى معه من أهل بيته الماء حتى اضطروه إلى القتال فجاهد هو ومن معه جهادا شريفا حتى استشهد ومعه بعض أهل بيته وأنصاره مفضلا الشهادة على مبايعة من لا يستحق خلافة المسلمين وبعد استشهاده أمعن خصومه فى كيدهم فاحتزوا رأسه الشريف ومثلوا به أبشع تمثيل فقد أوطؤوا الخيل صدره وظهره واستلبوا ثيابه كما نهبوا خيمته وخيمة نسائه وأهل بيته وكان استشهاده رضى الله عنه على يد الشمر بن ذى الجوشن وقيل: على يد أنس النخعى فى يوم عاشوراء سنة إحدى وستين هجرية فرضى الله عنه وأرضاه ونفع المسلمين بعلمه وحكمته وشجاعته وتمسكه بالحق والدفاع عن العقيدة .

ولكى تتم فصول مأساة كربلاء، احتز القتلة رؤوس الشهداء من آل البيت وعلى رأسهم رأس الإمام الحسين وذهبوا بها إلى يزيد بن معاوية وهم فرحين بما عملوا وكان يزيد بالشام فلما وضعوا رأس الحسين أمامه جعل ينكث فيها بقضيب فى يده فأثار هذا العمل أحد الحاضرين فقال: يا يزيد لقد رأيت فم رسول الله ﷺ يقبل هذا الفم فأمر يزيد برفع الرأس ووضعها فى خزانة بالقصر ويقال أمر بحفظها فى مخازن السلاح.

لقد كان الإمام الحسين كثير التشبه بجده المصطفى ﷺ فحين شب وكبر وشمل الشيب لحيته ترك بعض شعيرات فى مقدمتها وخضب سائرها تشبها بجده ﷺ وفى هذا قال الشاعر مشير إلى أن هذا المعنى :

الشمس أهدت للهلال رسالة — أمسى بها كشاف ليل الغيهب
والسبط من ذاك القبيل فإن بدا — وجه الحسين فثم أنوار النبى

وأما عن علمه ووقاره ومجلس علمه فقد قال معاوية لرجل من قريش: إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبى عبدالله مؤتزراً إلى أنصاف ساقيه .

ويذكر ذلك الوصف بقول البحترى يصف رجلا ذا مهابة ووقار :

فأفضيت من قرب إلى ذى مهابة — أقابل بدر التم حين أقابله

لقد سار الحسن والحسين على نفس المنهج الذى وصى به لهما أبوهما الإمام على كرم الله وجهه إلا أنه كان لكل منهما مفهومه الخاص فى تطبيقه وقد يفهم ذلك من هذه الوصية للإمام على لابنيه عندما أشرف على الموت: « أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شىء ذوى عنكما ، وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع ، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا، واعملا بما فى كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم.

ولقد أخذ الحسن من جده جوانب الحلم العقل والصبر، كما أخذ الحسين من أبيه جوانب البأس والقوة والشجاعة والمجاهرة بما يعتقد .

فالإمام الحسن عندما جاءه أمر الخلافة وبايعه أهل الشرف من المسلمين ورأى أن الفتنة مستحكمة عالج الأمر بالصبر واضعاً نصب عينيه مصلحة المسلمين وفضل عدم إراقة الدماء، دماء المسلمين، واتفق مع معاوية وتنازل له عن الخلافة.

بينما الإمام الحسين لم يوافق أخاه على ذلك وأصر على التمسك بمبدأ الشورى فى الخلافة وعدم المساومة على الحق فهنا كان عقل النبى وتدبيره وهنا كان بأس على وتفكيره .

وكانت أمهما الزهراء رضى الله عنها أشد ميلا للحسين لموافقته أكثر نزعتها فكانت رضى الله عنها صلبة العود شديدة فى الحق كذلك .

كما أن الإمام الحسن عندما أحس بالغدر من بعض أصحابه فضل الصلح مع معاوية كفا للفتنة وإبقاء على نفسه وأهله وأصحابه وقد رضى معاوية أن يكون أمر الخلافة من بعده للحسن فلم يكن يزيد محل تفكير أبيه حينئذ وإن كان الحسن لم ترق له هذه الفكرة .

وقد يثير موقف الحسن هذا شبهة عند البعض فقالوا: إذاً فلماذا لم يفعل الحسين مثل ما فعله أخوه الحسن؟ ولماذا لم يسلم الحسين الأمر ليزيد كما فعل الحسن مع معاوية؟ والرد على هذا الاعتراض واضح. . .

فإن موقف الحسين من يزيد غير موقف الحسن من معاوية، فمعاوية صحابى من أصحاب رسول الله ﷺ وكان له منزلة عند النبى ﷺ ولم ينزل فى دينه إلى ما نزل إليه يزيد شرب الخمر ومجالس اللهو وغير ذلك ، كما كان معاوية يحفظ حرمة النبى ﷺ فى السبطين الكريمين حتى إنه كان يجلسهما على سرير الملك بجواره أيضا كانت له مزايا تساعده فى معالجة الأمور فكان يضبط نفسه ويكظم غيظه ويتحلى بالحلم وقد أوصى ابنه يزيد بالإمام الحسين فى وصيته التى تركها له.

كما أن الحسين رضى الله عنه عندما توجه إلى العراق عندما جاءته رسائل أهل العراق التى بلغت على حد تعبير الرواة اثنتا عشرة انعقد رسالة تأييداً له ومبايعة بالخلافة وعدم الرضا عن بيعة يزيد لذلك فقد رحل الحسين إلى العراق على بينة من أمره وقد بايعه من أهل الكوفة فقط نحو عشرين ألف نفس وعندما علم فى الطريق قبل الوصول إلى الكوفة إن أهلها قتلوا ابن عمه الذى أبلغوه مبايعتهم الحسين وأنهم انفضوا عنه وخذلوه لكنه حين خامرته فكرة العودة إيثاراً للسلامة غير أنه رأى أن إقامة أحكام الله التى خرج عليها يزيد وأولها الخروج على مبدأ الشورى الذي آقره الإسلام والحسين يرضى أبدا ينزل على حكم ابن زياد الفاسق وليس الحسين هو الرجل الذى يرضى أن يستذله هذا اللعين ابن زياد قائد جيش يزيد بل إنه فضل أن يواجه ابن زياد ويواجه القتل عزيزا حرًّا فلقد كانت لديه إشارات أنه سيموت شهيدا فعندما وقف على قبر جده المصطفى ﷺ يودعه وهو متوجه إلى العراق قال : وقد غسلت يدى من الحياة وعزمت على تنفيذ أمر الله، كما كان يقول قبل القتال فيما بينه وبين نفسه :

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل ... وكل حى سالك سبيل

عندئذ اهتزت السيدة زينب أخته رضى الله عنها عند سماعها الحسين ينعى نفسه فأخذ يهدئ من روعها ولكنها لم تهدأ بل قالت . . « واثكلاه هو الحسين لا تغيب رؤياه . . كما حاول مرة أخرى أن يهدىء من روعها فى الموطن الذى استشهد فيه فى العراق وقال لها: يَا أختاه اتَّقِي الله وَتَقَوِّى بعزاء الله واعلمى أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شىء هالك إلا وجه الله والله لى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة.

وكان يقول لها: يا أختاه أقسم عليك فأبرى قسمى .. لا تكشفى على جيبا ولا تخمشى على وجها إذا أنا هلكت فقالت .. لأهلكن دونك يا عترة النبى ويا زهر البيت الكريم .

إن هذا الموقف تتزلزل الأبطال فما بال الحسين لم يتزلزل .. هل لأنه كان قد قضى له أن يكون سيد الشهداء أم لأنه كان فى مقام التمكين فكان لسانه ينطق بلغة اليقين .

لقد آثر أن يبذل أغلى ما يملك ، فبذل روحه واستشهد فى سبيل الله وفى سبيل الحق الذى اغتصبه الأمويون وضيعوه على المسلمين .

وقد أرادوا أن يحملوه رضى الله عنه على أن يبايع يزيد بن معاويه بقوة سيوفهم فأبى الإمام أن يضيع حقا شرعيا للأمة الإسلامية فى اختيار خليفتهم بالشورى ولما هددوه بالقتل قال : أبالمَوْت تخوفوننى ؟!

وأنشد:

سأمضى وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم ... كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

وفى هذا الموقف قال الشيخ الصاوى شعلان رضى الله عنه:

فى كربلاء تركت درسًا خالدا ... بسوى الدماء حروفه لم تكتب
أنت الشهيد ابن الشهيد وهكذا ... إرْثُ المكارم مَنْصبا عن منصب
وعزفت عن شرب الفرات مرنقا ... كما رأيت عليه ذل المشرب
والحر يؤثر أن يموت بعزمه ... أسدًا ولا يحيى بمكر الثعلب
ذكرى خلودك يا حسين صحيفة ... ذهب الزمان وحسنها لم يذهب

ولقد عـرف المؤمنون فضل أهل البيت فكانوا يجلونهم ويودونهم ويشـهد على ذلك: - كان هشـام بن عبـد الملك وهو أميـر أموى يحج فلم يستـطع الوصول إلى الحجر الأسود فى الطواف لـشدة الزحام فوقف ينتظر مع حاشيتـه حتى يخف الزحام وبينما هو كذلـك إذ أقبل الإمام على زين العابدين بن الإمام الحـسين فلما رآه الناس أفسحوا له ليقبل الحجر الأسود ثم هرعوا إلـيه يلتمسون دعاءه وبركته، وبعد أن قبل الحجر وانصرف سأل هشام بعض حاشـيته من هذا؟ فقالوا له إنه على بن الحسين فرد متجاهلا – لا أعرفه وكان فى الحاضرين شاعر عصره الفرزدق فهاله الموقف وأراد أن يقول للناس يا عجبا هل هناك من لا يعرفه ؟

إنه سليل بيت النبوة ولا يجهله إلا مخادع ثم أنشأ هذا الشعر .

هذا الذى تعـرف البـطحـاء وطأته ... والبـيت يعـرفـه والحل والحـرم
هذا ابن خـيـر عـبـاد الله كلهم ... هذا التـقى النقـى الطاهر الـعلم
إذا رأته قـريش قـال قـائلهـا ... إلى مـكارم هذا ينتـهى الـكرم
ينشق نـور الهـدى من نور غـرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
من جـده دان فـضل الأنبـيـاء له ... وفـضـل أمـتـه دانت له الأمم
فليس قـولك مـن هذا ؟ بضـائره ... العـرب تعرف من أنكرت والعـجم

فأظهر فضل أهل البيت فى شخص هـذا التقى حفيد المصطفى ﷺ ابن الإمام الحسين الذى لا ينكر معـرفته إلا مكابر ولا ينقصـه حقه إلا جاهل بفضلهم فـحبهم فرض على المؤمن كما قال المحب .

أرى حب آل البيت عندى فـريضة ... على رغم أهل البـعد يورثنى القـربا
فـمـا طلب المخـتـار منا جـزاءه ... على هـديه إلا المودة فى الـقـربى

- أهل البيت فى قلوب الشعراء ووجدان المحبين:

لقد أفاض المحبون شعرا ونثرا فى التعبير عن حبهم لآل بيت النبى ﷺ حبا فيه وسعيا لنوال شفاعته ودعائه فقد دعا لمن يحبهم ولمن كرم مثواهم ومن هؤلاء المحبين الشيخ على عقل شاعر الأولياء ومحب آل البيت قال . .

يا آل بيت رسول الله حبكمو ... ثوب أعزبه والصدق جمَّله
كأن حبكمو أصلى وناشئتى ... وإننى من قديم قد خلقت له
من يوم كنت صغيرا إذ سمعت بكم ... أصابنى فى فؤادى الوجد والوله
إنى امرؤ باسم آل البيت مُتَّجَهٌ ... والقلب فى حبهم مولاه كمَّله
كفى بأن الذى يأوى لساحتكم ... مولاى بالعز والإشراق فضَّله
آل النبى كرام لا يضيع لهم ... راجٍ ومن أمَّهم فالله يوصله
وكل مدح حرام فى مذاهبه ... إلا مديحهم الرحمن حلّله
فاعلم بأن بنى المختار حبهمو ... فرض من الله فى القرآن أنزله

وقال رضى الله عنه كذلك فى حب آل البيت وتحيتهم :

نحييكمو يا آل بيت محمد ... تحيات مشتاق يضيق به الصبر
أحنُّ إليكم والحنان يهزنى ... تطير سما فى الجو بَلَّلَهُ القطر
أحنُّ إليكم والبقاء سعادة ... ويوم لقاكم عندنا العيد والنصر
وللقلب روض فى المحبة ناشرٌ ... على الكون أكماما يُصان بها الدهر
فإن أتنفس بالغرام فإنما ... على نسمات الأنس قد غرَّد الطير

ومن أجمل ما قال فى هذا المقام

آل النبى تزايدت لوعاتى ... وعلى محبتكم وقفت حياتى
أنتم مناى ودعوتى بصلاتى ... لم أحسن فيكم فاهرًا أو عاتى

إن فـاض بى حـبى كـمـت تأدبا إن المقـام سـمـا عن الكلمـات
عـجـز البـيان فـمـا أوفى وصـفكم أنتم من الـدنيـا ضـيـاء حـيـاتى

وأنشد رضى الله عنه كذلك:

بنفسى أفـدى الزُّهرَ من بَضْعة الزهرا بهم نلت كل الخير دنيـاى والأخرى
لقـد غـرسـونى من زهور رياضـهم فطابت حـيـاتى من مكارمـهم زهرا
إذا قـيل لـى تهـواهمُ قلت مـلكهم ووقف يمـين لا يبـاع ولا يُشـرى
تسـامـوا على كل الأنام فـضـائلا وقـد بين القـرآن أوصـافـهم ظهـرا
جـداول من بـحـر النبى مـحـمـد فـمـا مثلهـا تلقى جـداول أو بحـرا
وكم عـاذل لى قـال كـيف تحـبـهم وكـيف لهم تسعـى وقد غُيِّبـوا قبـرا
فـإن كـان ذنبى أن قلبى أحـبـهم فـإن ذنوبى لـن تُلِمَّ بهـا حَصْرا
وعندى يـقين إن لى باتـبـاعـهم حيـاةُ محب باسـمهم كـسب الأجْرا

وهكذا كأن شاعر الأوليـاء وقف حياته رضى الله عنه على حب آل بيت النبى حبا صادقا فلعل الله سبحانه وتعالى أن يحشره معهم فذلك منتهى رجاه .

وللأستاذ محمد جاد الرب وهو من أحب المحبين لآل البيت رضي الله عنه . .

علـى الأعـتـاب يا آل النـبى وقـفنا بـين أيديكـم نحـيى
نُحَيِّى بالـصـلاة علـى الصَّفِىِّ مـحـمـد النبـى الهـاشـمى
عـلى الـزهراء أم الـنيـريـن علـى السـبـطين قـرة كـل عين
حـبـيـبى روحنا حـسـن حـسين على الأب فـى مـعـالـيـه علىٌّ
بـكـم وبـزيـنـب طـرزت شِعْرى بكـل سـلالة الـبـيت الأغـرٌ

وقـفت عـليكم شـعـرى ونثـرى | فـيـا حظ الفـواصل والروىّ
لقـد باركـتم الأقـطار طُرًّا | يملـه أوبطيـبـة أو بمـصـرا
مـقـامكم بهـا قـد طاب نـشـرا | فطاب الـكون بالقـرْفِ الشـذىٍّ

وما سجلناه من خواطر المحبة هنا ليس إلا قطرة من محيط فى حب آل البيت وكيف لا وهم فروع الدوحة المحمدية الكريمة وهم جداول من النهر النبوى الصافى الذى منه ارتوى المحبون ولا يزال كل محب يشرب منه كأس المحبة فيشدو معبرا عن عواطفه الجياشة لأحباب النبى ﷺ ومن أحب قوما حشر معهم كما قال رسول الله ﷺ وبشر «: يحشر المرء مع من يحب »

وعندئذ صاح الحكيم شعرا عندما بلغه هذا الحديث الشريف

وقد كفانى أنى محب | والمرء مع من أحب يحشر

ونحن نردد معه هذا البيت لعلنا نحظى بما رجاه وأمله فسبحانه وتعالى كريم وودود والمودة تتطلب الثبات على المحبة ودوامها فى القلب والوجدان وحب المصطفى ﷺ يحمل على حب آل بيته لأنهم أحب أحبابه وقد وصى بهم ودعا لهم ولمن أحبهم وأكرمهم وتخلق بأخلاقهم الكريمة التى أخذوها عنه ﷺ ونشروها بين الناس. فجزاهم الله خير الجزاء وأكرمنا الله بحبهم وموالاتهم ومودتهم أحياء ومنتقلين .

ومما قالوا فى مدح آل البيت رضى الله عنهم كذلك .

إليـكم كل مـكرمـة تئـول | إذا مـا قـيل جـدكم الرسـول
أبوكم خـيـر من ركب المـطايا | وأمكـم المعظمـة البـتـول
إذا افـتـخـر الأنام بمدح قـوم | بخـدمـتكم تشـرف جبـرئيل

وللإمام الشافعى رضى الله عنه فى حب آل البيت وهم أهله خاصة شعر قال فيه :

هم القوم من أصفاهم الود مخلصاً   تمسك فى أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا   محاسنهم تحكى وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هوى   وطاعتهم ود وودهم تقى

وله فى هذا المقام أبيات مشهورة منها:

يا آل بيت رسول الله حبكمو   فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكموا من عظيم القدر أنكمو   من لم يصل عليكم لا صلاة له

يشير إلى أن الصلاة لا تتم إلا بالصلاة عليهم رضى الله عنهم فى التشهد الذى يردده المصلى كل يوم فى آخر الصلاة (اللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد) وحين يدفع شاعر الأولياء الشيخ على عقل الذى سبقت الإشارة إلى حكمته وشعره فإنه يدفع الملامة التى يتعرض لها ممن لاموه على فرط حبه ووجده لآل البيت يقول :

ومهما أُلام على حبهم   فلست الفتى خائف اللائمة
فروحى على بابهم ترتمى   ونفسى بأعتابهم خادمة
فيا عاذرى ثم يا عاذلى   سواء رضاء أو اللائمة
فقل ما تشاء وكن ما تشاء   فإنى أحب بنى فاطمة

فهو لا يعبأ بملامة فى حب آل البيت وقد أوقف شِعْرَهُ وقلمه على حبهم بعد حب الله ورسوله ولم يكن لمثله أن يفعل هذا إلا إذا كان ملهما فهو الولى الملهم كما وصفه تلاميذه ومعارفه رضى الله عنهم جميعا .

وقد قال كذلك:

اعذرونى أو اعذلونى فإنى   لست أخشى الملام من حيث كان
أنا لو أشرب البحار جميعا   لم أزل فى محبتى ظمآنا

وحين جاء ذكر الحسن والحسين بعد وفاتهما جادت قريحة المحب فقام وأنشد دعبل الخزاعى :

ذكرت محل الربع من عرفات ... فأجريت دمع العين بالعبرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحى مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالبيت والتعريف والجمرات
قفا نسأل الدار التى خف أهلها ... متى عهدُها بالصوم والصلوات
أحب فضاء الدار من أجل حبهم ... وأهجر فيهم أسرتى وثقاتى
فهم أهل ميراث النبى إذ انتموا ... وهم خير سادات وخير حماة
أئمة عدل يقتدى بفعالهم ... وتؤمن منهم زلة العثرات
فيارب زد قلبى هدى وبصيرة ... وزد حبهم يارب فى حسناتى
تخيرتهم رشدا لأمرى فإنهم ... على كل حال خيرة الخيرات

ولما سمع المأمون هذه القصيدة صار يبكى حتى اخضلت لحيته ولهذا الشاعر دعبل الخزاعى الكثير من القصائد فى مناقب آل البيت الكرام وكلها تعبر عن تعلق روحه بهم تعلقا سما بها فى مجال التعبير ومما قال :

كلامك فى أهل النبى فإنهم ... أحبائى ما عشت وأهل ثقاتى
تخيرتهم رشدا لأمرى فإنهم ... على كل حال خيرة الخيرات
فكم جبروا سواى كسير قلب ... وكم كفلوا سواى فقير حال
أليس الأولياء لهم مزايا ... وأطوار تجل عن المثال
لهم عند المهيمن ما أرادوا ... من الإكرام والرتب العوالى
فيارب زدنى من يقينى ذخيرة ... وزد حبهم يارب فى حسناتى

وعلى هذا المنوال قال المحب:

لآل البـــــيت عــــز لا يزول   وفــضل لا تحـيط به العــقــول
وإجــلال ومـجــد قــد تســامى   ونور مـــالغــايتـــه وصـــول
زكـــوا أصــلا بنـسـبــتـــهم ولكن   يطيب الـفـرع مـا طـاب الأصـول
مـــعـــاذ الله أن أخـــشى نـكالا   ولى فـى حـــبـــهم باع يـطول

وفى ذكرى الإمام الحسين أنشد الأستاذ محمد زكى الحلوانى غفر الله له

فوجـئت فاخترت الـردى مستشـهدا   لم تَخْشَ فى الحـق المبين قــراعــا
لم تجــعـل الملك المغـــرَّر غــاية   كم مـالـك جـاز الحـيـاة مُضــاعـا
مـا كـان سـعـيك لـلعـراق تطفـلاً   بعـثـوا العـهـود وقـابلوك رعـاعـا
عـذروا لئـامًا حيـث سرت مـسـالما   والسلـم فى اللومـــاء حق ضــاعـــا
فلئن حـواك القـبـر سـبط محـمـد   فــمن المقـــابر مـــا يســود رباعـــا
آل النـبى فــــديـتكم مـن ســـادة   فى الحق كم حـــملوا الأسى أنـواعـا
سـالت دمـاؤكم عـلى هام الهـدى   تاجـا تسـيــر به القـرون مـــشـاعـا
تتـناول الجنـات بيض وجـــوهـكم   كنـتم ثـمـــــار الحق والـزراعـــــا

وللشــيخ أحـمـد الحلوانى رضى الله عنه فى حب آل البـيت باع عظيم فـهـو المنسوب إليهم حبا ومودة . . فقال فى مدح بنى الزهراء :

بنفسى أفدى الزهـر من بضعة الزهرا   وإن همُ رضوا نفسى فقد عظمت قدرا
هم القوم يسـتسقى الغمـام بجودهم   هم الفـرج الأدنى لمـن جـاء مـضطرا
هم الدين والدنيـا لعـمـرى همُ همُ   فـقل فيـهم مـا شـئت لا ترهبنْ نكرا
غُصـون رسـول الله دوحـــة عـزهم   ومن مـثل خـيـر المرسلين أبى الزهرا

نسائم أسحار إذا نشروا الهدى … أناروا دياجى الكون بالطلعة الغرا
محبتهم باب الرضا ورضاؤهم … يُسام بأرواح المحبين لو يُشْرى
فيا آل بيت المصطفى أنا عبدكم … علىّ فمدوا من حياتكم سترا
فأنتم ذوو الجاه الوجيه وكم وكم … بكم جَبّر الرحمن يا سادتى كسْرا
ألستم نثارا من نظام محمد … فمن مثله نظما ومن مثلكم نثرا
فيا أيها الساعى ليمحو مجدهم … رويدك لا تسطيع أن تطمس البدرا
ويا من يعاديهم لفرط شقائه … تمتع قليلا أنت فى سقر الحمرا
ويا من يواليهم ويحفظ وُدّهم … ويكرم مثواهم هنيئًا لك البشرى
فلابد يوم العرض تسمع قائلا … تفضل تفضل فادخل الجنة الخضرا

ولكن كيف بالله أتم هذا الباب وأطوى الصحائف والورق ولا أسجل مثل هذه النفحات للمحبين لآل البيت فكتمانها يثقل على نفس المحب ونشرها من واجبات المودة ومن هذه الخواطر:

غرامك فى أهل النبى فإنهم … أحبانا ما عشنا وأهل ثقاتى
فيارب زدنى من يقينى بصيرة … وزد حبهم يارب فى حسناتى

وهذا محب قديم قال:

مطهرون نقيات جيوبهم … تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا
فأنتمُ أنتمُ الأعلون عندكم … علم الكتاب وما جاء ت به السور
من لم يكن علويا حين ينسبه … فماله فى جميع الناس مفتخر

ولأن السيدة زينب رضى الله عنها وأرضاها أول من شرفت مصر اختيارا ورغبة من آل البيت ثم حضر من بعدها من شرف مصر بمقدمه الميمون منهم فقد أصبح لها

علينا حق التكريم والمودة فهى أخت الحسين وحفيدة المصطفى ﷺ سماها زينب وغمرها بعطفه مشفقا عليها مما ستلقاه فى حياتها وقد كان. . . فقد سجل المحب القديم شرف مصر باستقبالها:

لما رجعت من الشام ليثرب ... من بعد فاجعة الإمام حسين
طلبوا إليك الظعن للبلد الذى ... تستوطنيه خارج الحرمين
فاخترت مصر فرحبت بك وانثنت ... تهتز من شرف على الكونين

وكذلك قال الشيخ الصاوى شعلان رضى الله عنه فى الترحيب بمقدمها إلى مصر:

أشقيقة السبطين حيًّا الله صاحبة المقام
يا نفحة الزهراء يا أخت الإمام ابن الإمام
أخت الحسين مقامكم فى المجد شأن لا يرام
هذا الرحاب بساطه ظل من البيت الحرام
ومن الملائك موكب معنا يؤدون السلام
لم لا ونور المصطفى لما أقمت هنا أقام

وللإمام البوصيرى فى مناقب آل البيت الكثير ومنه هذه الأبيات فى مناقب السيدة نفيسة

فطوبى لمن يسعى لمشهدك الذى ... تكاد إلى مغناه تسعى المشاهد
إذا أمه القاصدون تيسرت ... عليهم وإن لم يسألوك المقاصد
ألذ من الماء الزلال مواقعا ... على كبد الظمآن والماء بارد
أحبكمو قلبى فأصبح منطقى ... يجادل عنكم حسبة ويجالد
وهل حبكم للناس إلا عقيدة ... على أُسِّها فى الله تبنى القواعد
فقد بينت أتى كم أتى بها ... مكارم أخلاق لكم ومحامد

وهذا محب طيب قال فى آل البيت:

بكم المدائح تستلذ وتعشق   وإذا بكم يا آل أحمد رونق
وإذا نظمت مدائحا لعلاكم   صدق المديح وغيره لا يصدق
وإذا كتبت حروفها ورقمتها   قال الورى تالله أنت موفق

وهكذا تنافس الشعراء المحبون فى التعبير عن حبهم لآل البيت وخاصة إكرام الله تعالى مصر المحروسة بمقام كثير منهم فى أضرحتهم المنيرة المنتشرة فى أنحاء البلاد وفى ذلك تيسير على من لم يستطع زيارة قبر جدهم المصطفى ففيهم السلوى وفى زيارتهم الخير والنفع بإذن الله وذلك فضل الله تعالى على أهل مصر أحباب آل البيت فهم قرة العين وراحة الأرواح ومهبط الأفئدة .

ولقد شرف مصر بعد السيدة زينب رضى الله عنها كثير من أهل البيت من ذرية الإمامين الحسن والحسين ومنهم الإمام زين العابدين على بن الحسين وابنه زيد رضى الله عنهم والسيد حسين الأنور والد السيدة نفيسة رضى الله عنهما من ذرية الإمام الحسن والسيدة نفيسة رضى الله عنها والسيدة سكينة بنت الإمام الحسين رضى الله عنها والسيدة رقية بنت الإمام على كرم الله وجهه والسيدة فاطمة النبوية بنت الإمام الحسين رضى الله عنها والسيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق حفيد الإمام الحسين رضى الله عنهم والإمام إبراهيم بن عبدالله بن الإمام الحسين رضى الله عنهم ومدفنه بالمطرية ويسمى العامة مسجده التبرير وفى الأصل اسمه تبر وهذا الاسم كان يطلق على بابى هذا المسجد وكان من أكابر الأمراء أيام كافور الأخشيدى .

ومن السلالة الطاهرة الذين دفنوا بمصر بعد أن أقاموا بين أهلها أحباب أهل البيت الإمام الشافعى رضى الله عنه وينتهى نسبه من جهة أمه إلى الإمام الحسين بن على رضي الله عنهم ومن السلالة الطاهرة كذلك شيخ العرب السيد أحمد البدوى الذى يرجع نسبه إلى الإمام جعفر الصادق حفيد المصطفى ﷺ .

وكذلك السلطان أبو العلا رضى الله عنه وهو منسوب إلى الأشراف الحسينيين وضريحه فى مسجده المشهور باسمه فى بولاق بالقاهرة والسيد إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه ويرجع نسبه الشريف إلى الإمام الحسين رضى الله عنه ومسجده وضريحه بمدينة دسوق ولأخيه سيدى العتريس رضى الله عنه له ضريح ملحق بمسجد السيدة زينب رضى الله عنهم .

ويذكر المقريزى فى طبقاته كثيرا من ذرية أهل البيت المدفونين بمصر ومن بينهم السيد عبدالله من أولاد إبراهيم بن الحسن بن على كرم الله وجهه وضريحه بشارع الشيخ ريحان بالقاهرة .

ويذكر الشبلخى فى كتابه نور الأبصار أن السيدة صفية التى ينتهى نسبها إلى الإمام الحسن مدفونة بدرب سعادة بالقاهرة بالقرب من مزار الشيخ الحموى. لقد ظلت مصرُ مقصد أهل البيت بسبب أن المصريين هم أكثر المسلمين حبا لأهل البيت، حبا فى جدهم المصطفى ﷺ الذى أوصى بأهل مصر خيرا وأوصى بحب أهل البيت كثيرا .

* * * *

من وصايا النبى ﷺ بآل البيت

وورد عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»، فهم النجاة لمن تأسى بهم وسار معهم على درب جدهم المصطفى ﷺ وقد أخبر ﷺ أنهم أهل شفاعة بل أولى الخلق بشفاعته يوم القيامة، عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أول من أشفع له يوم القيامة، أهل بيتى، ثم الأقرب، فالأقرب، ثم الأنصار ،ثم من آمن بى من أهل اليمن ،ثم سائر العرب، ثم الأعاجم».

ذلك ليعلمنا رسول الله ﷺ صلة الرحم وأهمية هذه الصلة فى الدنيا والآخرة كذلك.

وروى عنه ﷺ أنه قال: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتى والقاضى لهم حوائجهم والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه».

والأحاديث فى وصايا النبى ﷺ بآل البيت كثيرة تدل كثرتها على فضلهم وعلى مكانتهم عنده ﷺ فإنهم أهل للمحبة لصفاتهم الكريمة وأخلاقهم النبيلة ولجهادهم فقد كانوا أنوار الحق ومشاعل النور وورثة العلم. وبالله عليك ألا يميل القلب إلى لزوم مودتهم وقد وصفهم الإمام على فقال: هم عيش العلم وموت الجهل يخبر حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه . وهم دعائم الإسلام ووشائج الاعتصام عقلوا الدين عقل رعاية ودعاية لا عقل سماع ورواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل .

ثم قال : انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا آثارهم فإنهم يخرجون بكم إلى هدى ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا . . إنهم أحلم الناس صغارا وأعلمهم كبارا ومن علم الله علمهم وفداية الحق معهم من تبعها لحق ومن تأخر عنها مُحق وبهم فتح الله تعالى وبهم ختم .

ويدل هذا المشهد على مكانة أهل البيت عند رسول الله ﷺ فى شخص الإمام على كرم الله وجهه وعن أنس رضى الله عنه بينما رسول الله ﷺ فى المسجد إذ أقبل على فسلم ثم وقف فنظر النبى ﷺ فى وجوه أصحابه أيهم يفسح لعلى ، وكان أبوبكر رضى الله عنه على يمين رسول الله ﷺ فتزحزح عن مجلسه وقال: ههنا يا أبا الحسن فجلس على بين رسول الله ﷺ والصديق رضى الله عنه فعرف البشر فى وجه الرسول ﷺ وقال : يا أبا بكر إنما يعرف الفضل من الناس ذوو الفضل .

لقد وصى رسول الله ﷺ أهل طاعته بمحبة أهل بيته ومما وصى به المداومة على محبتهم والتحذير من معاداتهم فقال ﷺ « لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا رُدَّ عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار ». رواه الطبرانى فى الأوسط.

لذلك جعل الصالحون من هذه الأمة محبة أهل البيت نبراساً مضيئا لهم ينير لهم الطريق إلى السعادة فى الدنيا والآخرة وقد عبروا عن محبتهم بوسائل التعبير المختلفة من زيارة واجبة ونشر مناقبهم وفضائلهم وتربية أبنائهم على محبة أهل البيت والصلاة عليهم مقترنة بالصلاة على جدهم المصطفى ﷺ والدعاء لهم برفع الدرجات فى الجنة.

ولذا شكا العباس رضى الله عنه إلى النبى ﷺ ما تفعله قريش بآل البيت من أذى فغضب ﷺ وقال محذرا « والذى نفسى بيده لا يدخل الإيمان قلب رجل حتى يحبكم لله ولرسوله».

لذلك كان أبو بكر رضى الله عنه يقول :«لصلة قرابة رسول الله ﷺ أحب إلىّ من صلة قرابتى» . وكذلك لما سئل أمير المؤمنين عمر عن زواجه من السيدة أم كلثوم بنت الإمام على مع الفرق البين فى السن قال: إنما أردت أن أكون موصولا بنسب النبى ﷺ من طريق أهل بيته فنسبهم لا ينقطع فى الدنيا ولا فى الآخرة.

ولقد بين الإمام جلال الدين السيوطى مكانة أهل البيت حين قال «إن الله تعالى أمرنا وكما علمنا نبينا ﷺ أن نصلى على آل البيت فى كل صلاة فى التشهد

فنحن ندعو لهم كما ندعو لآل سيدنا إبراهيم ولما كان فى آل إبراهيم عليه السلام الأنبياء وليس كذلك فى آل سيدنا محمد ﷺ فإن الدعاء للآل هنا وهنا يبين أنهم متساوون فى القدر عند الله تعالى. وآل سيدنا إبراهيم أنبياء، وآل سيدنا محمد ليسوا أنبياء، فالمصلى؛ لو لم يصل عليهم فى قوله فى التشهد، اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم؛ بطلت صلاته، خاصة فى التشهد الآخير .

ولهذا المعنى عبر الإمام الشافعى فقال :

يا آل بيت رسول الله حبكمو ... فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكمو من عظيم القدر أنكمو ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

وكذلك قال المحب:

رأيت ولاتى آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثنى القربى
فما طلب المختار منا جزاءه ... على هديه إلا المودة فى القربى

فليس بغريب أن يكون لأهل البيت هذه المنزلة عند رسول الله ﷺ فقد كرمهم ربنا عز وجل فى القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ .

فَعِلمُهُمْ من عِلْمِ جدهم وشرف كرامتهم من شرف كرامته فهم بعضه وبضعته وحياتهم العامرة التى ابتدأت بحياة الإمام على كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء إنما هى استمرار لحياة طيبة كريمة على الله وعلى رسوله ﷺ وبعد انتقالهم أصبحت ذكراهم فى قلوب المؤمنين روحا وريحانا يسعدون بذكراهم ويدعون إلى مودتهم ويؤدون واجب و الحب والإكرام تعظيما لرسول الله ﷺ وحبًا فيهم لصفاتهم ولمناقبهم الكريمة.

وما أسعد المحب إد يقول :

فـــأبيت فـى آل النبى عـلى جَوًى		وأظل مـحــسـوبا على الســبطين
يا آل أحـــمــد أنتـــمـو كـنز الندى		فـــبكم نـنال العـــز فى الـدارين
فـــاهنأ بهم يا قلـب والزم حـبــهم		فـغـرامـهم ينْجـى الفـتى من هوْن
لو أدرك العـــذال حلو غـــرامـــهم		تركـوا وعـادوا العـمـر لم ينْهـونِ

ومن وصـايا رسول الله ﷺ مـا روى الحسن الـسبط رضى الله عنه عن جـده المصطفى ﷺ وصيته بآل البيت قال: خطب جـدى رسول الله ﷺ يوما فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: معاشر الناس إنى أدعى فـأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتى أهل بيـتى إن تمسكتم بهما لن تضلوا، وإنهما لن يفـترقا حتى يردا على الحوض.

وعن أُبَىّ بن كــعب أن رســـول الله ﷺ قـال: « أدبوا أولادكـم على ثلاث خصال، حب نبيكم وحب أهل بيته وقـراءة القرآن فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه» .

وما أجمل ما أنشد المحب ·

شـــرفت مـــصـــرنا بكـم آل طه		فـــهنيــــئـــا لنـا وحق الهـناء
حـبـكم واجب على كل شـــخص		حـــــدثـتنـا بضــــمـنه الأبـناء

وفى الحديث الشـريف: « أنت مع من أحببت»، وحب الـسبطين الكريمين من حب جـدهما ﷺ وهذا الحب دليل على حـب الله تعالى والحـسن والحسين سـبطان كريمان عرفا بين الناس بالحسنين والزكيين والرشيدين والوفيين .

وكذلك كان الاعـنزاز بآل البيت عظيـما خاصة الحسن والحـسين فكان يحرص على أن يمنعهما من النزول إلى ساحة القتـال لتظل عترة المصطفى باقية تهدى وتضىء

للناس أطول مدة فـفى معركة الجمل حين اصطف الجـيشان قدم الإمـام على أخاهما محمـد بن الحنفية لهذه المعـركة وقال: املكوا عنى هذين الشابـين أى أبعدوا الحسن والحسين عن المعركة فإنى أخـشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله ﷺ فى الأرض، ثم قال لابنه محـمد بن الحنفية تقدم فـتقدم وقاتل قتـال الأبطال فنظر إليه واحد من أحباب سيدنا على وقال له :

أبوك الذى لم يركب الخيل مثله   علـــــى وسمّاك النبى محمدا

ولما أراد البعض أن يدس بين محمد بن الحنفيـة وأخويه الحسن والحسين فقالوا له: أبوك يدفع بك إلى الحرب ويؤخر أخويك ، فقال لهم رضى الله عنه: « إنما هما عيناه وآنا يمينه» !! ثم قال: «فأبى يدفع بيمينه عن عينيه». آلا رضى الله عنهما درية بعضها من بعض .

ولقد كان للسبطين الكريمين المنزلة الكبيرة عند الصـحابة فقد طلب سيدنا عمر رضى الله عنه وهو خليفة المسلمين الحسين للقائه فبينما كان الحسين متوجها إلى منزل الخليفة قابله عبدالله بن عمر فتكلم معه وعرف منه أنه كان قد استأذن على آبيه لمسألة فلم يأذن له فرآى الحسين آن يرجع ويعود غدا فلـما دخل على آمير المؤمنين فى اليوم التالـى سأله آميـر المؤمنين لماذا لم ألقاك الـبارحة؟ فـقد كنت فى انتظارك فـحكى له الحسين أنه فهم من عبدالله بن آمير المؤمنين انشغاله حتى أنك لم تأذن لابنك بالدخول فرجعت فـقال سيدنا عـمر فى انفعال . وأنت عندى مـثله!! وكررها . آإذا منعت عبـدالله ابنى من لقائى أأمنعكَ أنت وآنت ابن النبى؟! لولا جدكم مـا كنا . وأحسن استقباله وآكرمه بما يناسب قدره عنده .

– المشهد الحسينى بالقاهرة :

ذكر المقريـزى المؤرخ الشهير أن رأس الحـسين رضى الله عنه نقلت إلى القاهرة من عسقلان فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة للهجرة الموافق الواحد والثلاثين من أغسطس سنة ألف وثلاث وخمـسين ومائة للميلاد وذكر ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بن رزيك الوزير الفـاطمى بنى مسجدا خارج باب زويلة ليدفن فيه الرأس الشريف وليفوز بهذا الشرف وكان ذلك فى خلافة الفائز بدين الله الفـاطمى، وبقى الرأس الشريف حـتى أنشئت له قـبة تعلو المشـهد الحـالى سنة خمسمائة وتسعة وأربعين للهجرة .

ولما تولى ص ٨ح الدين الحكم فى مـصر جعل بالمشهـد حلقة تدريس، ثم بنى إيوان للتدريس فى ، هد الصالح نجم الدين أيوب .

وقد وصف الرحالة ابن جبير الذى زار مصر فى العصر الأيوبى عام آلف ومائة وأربعة وثمانية للمـيلاد وصف القبه والمدرسة التى كانت مكان المسجـد الحالى فقال. فمن ذلك المشـهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة حـيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهمـا وهو فى تابوت من فضة مدفـون تحت الأرض وقد بنى عليه بنيان يقصـر الوصف عنه مجلل بأنواع الديباج محفوف بأمثـال العمد الكبار ثم أفاض فى وصف روعته وجماله .

وفى العصـر الأيوبى أنشأ أبو القاسم بـن يحيى المعروف بالزرزور مـئذنة على باب المشهد وهى منارة مليـئة بالزخارف الجصية والنقوش البـديعة وكانت هذه المنارة تعلو الباب الأخضر .

وفى العصر العـثمانى أمر السلطان سليـمان خان بترصيع المسـجد بعد أن رأى الإقـبال العظيم عليـه من المصلين والزوار. وعنى بعـده السلاطين والأمـراء بترمـيم المسجد بما يتناسب مع مكانته ومكانة الإمام الحسين فى قلوب الناس .

وقد نال هذا المسجد العظيم عناية فى العصر الحديث فزيدت مساحته كما أضيف إلى المسجد مبنى خاصا بإدارة المسجد يقع فى الجهة الشرقية من المسجد بجوار غرفة المخلفات النبوية وكذلك أنشئت مكتبة خاصة بالمسجد وهى الآن بالطابق العلوى.

وقد ذكر أن عبد الرحمن كتخذا أعاد بناء الضريح الشريف سنة ألف ومائة وخمس وسبعين للهجرة كما هو ثابت على العتب الرخامى ونصه :

مسجد للحسين أصل المعالى ... لا يضاهيه فى البقاء علا
فيه فضل الرحمن للعبد نادى ... زر وأرخ لك الهنا والرضا

والقبة ترتكز على عقود نصف دائرية ومقرنصات فى الأركان والجدران مزخرفة بنقوش زيتية رائعة وهى عثمانية الطراز .

وأقدم أجزاء الضريح هو الجزء المعروف بالباب الأخضر ويقع بالقرب من الركن الجنوبى للضريح وفوق هذا الباب مئذنة قصيرة ترجع إلى العصر الأيوبى وتحت القبة قبلة قديمة محلاه بقطع من الفسيفساء الرخامية ، وجميع جدران القبة مكسوة بالرخام الملون الجميل .

أما التركيبة التى تعلو الرأس الشريف فهى من الفضة يحيط بالقبر. ولا يخلو القبر من الزوار طالما المسجد مفتوحاً للصلاة حيث يحضر الزوار لتأدية تحية المسجد والصلاة ثم زيارة القبر الشريف من أنحاء البلاد وفى مناسبة الاحتفال بذكرى سبط رسول الله ﷺ يأتى أعداد كبيرة من المحافظات من أهل المدن والقرى يحضرون مجالس العلم ويستمعون إلى مناقب آل البيت ويستمر الاحتفال بالذكرى مدة تتلألأ فيها الأنوار وينتفع فيها طلاب العلم والتجار وتوزع فيها الصدقات على الفقراء فى

موسم من مواسم الخير والبر وكل ذلك حبا فى الإمام الحسين وفى جده المصطفى ﷺ

- قاعة المخلفات النبوية :

لا يعد المتهد الحسينى بالقاهرة أول مظان المخلّفات النبوية الشريفة بمصر بل تناولتها أيدى كثيرة وعلى فترات مختلفة حتى انتهت إلى مستقرها الأخير بجوار المتهد الحسينى فى غرفة تعرف بغرفة المخلفات النبوية منذ نقلها الخديوى توفيق الذى نقلها فى احتفال عظيم من القلعة بعد أن وضعها فى لفائف مس الديباج الأخضر المطرز بسلوك من الفضة المذهبة فى يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الثانية سنة ألف وثلاثمائة للهجرة، وأهم هذه المخلفات النبوية الشريفة قطعة من قميصه الشريف ومكحلة ومزود وقطعة من القضيب وشعرتان من اللحية الشريفة كما يوجد مصحفان كريمان بالخط الكوفى أحدهما ينسب إلى الخليفة عثمان رضى الله عنه والثانية ينسب إلى سيدنا على كرم الله وجهه .

وهذه الحجرة ملاصقة للضريح وهى مخصصة الآن لعقد القران وقد أعدت لاستقبال آهل العروسين تيمنا بموقعها الشريف وتبركًا بصاحب المقام الإمام الحسين رضى الله عنه وعن سائر أهل البيت الكرام وعلى جدهم أزكى السلام .

والمسجد الحالى يعد من أعظم المساجد فى مصر وقد أصبحت المنطقة التى تحيط بالمسجد مزارا دينيا وسياحيا خاصة وأن الشوارع المجاورة والمعروفة بحى خان الخليلى تجذب السياح بطابعها الشرقى الأصيل وبما يباع ويصنع فيها من هدايا بديعة الصنع تحمل طابع الفن الإسلامى المتميز .

ولا يزال المسجد والضريح ينال من العناية والاهتمام الكثير.فأعمال التوسعة والترميم والزخرفة لا تنقطع ليظل هذا المسجد الآية الأولى فى الجمال والروعة وفن العمارة والزخرفة فى المنطقة العربية وبخاصة فالمصريون يكنون لأهل البيت كل تعظيم

وحب ويفتخرون بأن مصر هى الملجأ الذى لجأ إليه كثيرون من أهل البيت ويدل على تعاطف المصريين مع أهل البيت أكثر من غيرهم ومما جاء فى كتاب «تحفة الأحباب» أنه لما قتل الحسين بن على بكربلاء طيف برأسه فى البلاد إلا أرض مصر ثم جاء كذلك إن أهل مصر تلقوا أهل البيت بمدينة الفرما وهى أول مدينة من مدائن مصر بعد مقتل الحسين وحملوهم فى الهوادج وأنزلوهم فى خير الأماكن وأوسعوا لهم فى الكرامة وبنوا لموتاهم المشاهد واتخذوها مزارات وجعلوا لها أرزاقا من أموالهم وكان أهل البيت يقدرون هذا فيقولون : يا أهل مصر نصرتمونا نصركم الله وآويتمونا آواكم الله وكانوا يدعون لأهل مصر كثيرا .

الزيارة والمزارات :

قال العلماء: إن زيارة القبور واجبه للموعظة والاعتبار وتذكر الموت الذى هو نهاية كل حى. فعلى العاقل آن يعمل فى هذه الدنيا على أساس أنه مفارقها يوما ما، وعليه أن يحمل معه الزاد من التقوى فالحياة عمل ولا حساب والآخرة حساب ولا عمل .

لذلك وجبت الزيارة وقد وضعوا لها شروطا يلتزم بها الزائر حتى ينتفع منها وتحصل له الفائدة المرجوة بإذن الله . فالزيارة للقبور وبخاصة لقبور الصالحين مستحبة فى كل أيام الأسبوع عند الحنابلة ومن عصر يوم الخميس إلى طلوع يوم السبت عند الشافعية ، وأيام الخميس والجمعة والسبت عند الحنفية والمالكية مع الحث على زيارة قبر المصطفى ﷺ والجلوس فى الروضة الشريفة فى المدينة المنورة فإنها من أعظم المقاصد .

وليتميز قبور الصالحين وخاصة آل البيت فقد جرت العادة على إقامة أضرحة للتعريف بمكان القبر لمن أراد الوصول إليه للزيارة ، وهذا العمل مأخوذ من توجيهات النبى ﷺ قال : « ضعوا على قبره علامة» والمقصود هو سيدنا سعد بن عباده الذى

ارتضاه يهـود خيبـر ليكون حكما بينهم وبـين المسلمين وكانت له مكانة عظيـمة عند رسول الله ﷺ فقال عند موته: « اهتز العرش لموت سعد بن عباده» فأمر ﷺ بوضع علامة على قبره تكريما له بعد موته .

ثم صار الأمر على ذلك عند تمييز القـبر وتدرج المسلمون فى هذا حتى احتوت العلامة التى على القـبر على لوحة عليهـا اسم المتوفى والدعاء له ثم استخـدموا بعد ذلك شواهد القبور من الرخام ونقشوا عليـها الاسم والدعاء حتى تتحمل لمدة طويلة وزاد البعض فى نقش الرخام بزخارف إسلامية وهذه الأمور لا تصادم نصا شرعيا فلا هى تعبد ولا هـى مفروضة وإنما النية فى هذا الـعمل التعرف فقط على مـكان القبر لكثـرة القبـور والدعـاء للمتـوفى بما أمـر به القرآن الكـريم خاصـة من أبنائه وذويه فالضريح ليس فقط إلا لمعرفة مكان المتوفى كتسهيل زيارته والدعاء له .

وبسبب الزيارة المتـصلة لقبور أهل البـيت خاصة مـحبة وبركة وأداء لواجـبات المودة فقد وضعـوا شروطا للزيارة تشمل آدابها، فقال الإمـام الشعرانى رضى الله عنه وهو الزاهد الفـقيه العـابد المحدث الصوفى، تـرك سبعين مـؤلفا فى علوم الشـريعة الإسلامـية والتـصوف وهو من أئمـة القرن الـسادس عشـر الميلادى قـال فى الزيارة وآدابها: هى التشوق إلى المزور وحسـن الظن فى فضله وطهارته من المعاصى المعنوية والحسية، وخلوص النية بأن يكون الباعث على الزيارة امتثال أمر الشارع ، فإن خلت الزيارة من ذلك فـلا نفع لها ولا ثـواب لها، بل تكون رياء ونفـاقا ، أمـا إذا زرْت بحسن القصد وحسن الآدب فإن كان المتوفى من أهل الخير فلابد لك من الخير الأوفر فإن الله تعالى قـد وكل بقبور الصـالحين ملائكة يقـضون حوائج الزائرين لأن أهل الله محل الكرم أحيـاء وأمواتاً ومن دخل بيت كريم لا يرجع من غير خيـر ولا سيما إن كانوا من أهل البيت المصطفى ﷺ وتقصد بصلة رحمه ﷺ .

وقد يرى البعض فى الزيارة أمورا فيمتنعون عن الزيارة فهذا يؤدى إلى الجحود وسوء ظن. فإذا جاء أحد بما لا يتفق مع آدب الشرع فى الزيارة فالعيب عيبه هو والأجدر أن يوجه فذلك خير من المقاطعة والجحود . .

وينبغى للزائر وخاصة إن كان يزور ضريحا من أضرحة أهل البيت أن يقول : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا** ﴾[1] ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ [2] .اللهم إنى مؤدى هذه الزيارة مريدا بها النفع فى دينى ودنياى متوسلا بها إليك يوم انقطاع الأسباب ، اللهم زدهم شرفا وتعظيما. اللهم هب لى بزيارتهم ثوابا ومغفرة وأجرا عظيما .

ولابد إن كان الضريح ملحقا بمسجد أن تبدأ بالصلاة فى المسجد قبل الزيارة فحق الله وبيته مقدم على حقوق خلقه .

وقد اعتنى الصوفية خاصة بهذه المزارات فهى ذكرى من ذكريات الرسول ﷺ وساكنوها من أهل بيته يحملون آثاره الشريفة ومن حقهم أن يكرموا لشرف انتسابهم إلى أكرم الخلق جدهم ﷺ وكما يقول الشبلخى فى نور الأبصار: «واعلم أنه لا عبرة باختلاف فى دفن بعض أهل البيت الذين لهم بمصر مزارات فإن الأنوار التى على أضرحتهم شاهد صدق على وجودهم بهذه الأمكنة ولا ينكر ذلك إلا من ختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة [3] .

ومثل هذه الأشياء تؤخذ بحسن النية فإذا كان صاحب المزار المنسوب إليه غير موجود فيه فالزيارة تصل إليه أينما كان، ومثال ذلك مشهد الحسين وكما قال الأستاذ العقاد فى موطن رأس الحسين رضى الله عنه « إنه وردت أخبار بأنه موجود فى ست مدن وتقع فى بلاد الحجاز والشام والعراق وبيت المقدس والديار المصرية وهذه تكاد

(١) سورة الأحزاب ٣٣

(٢) سورة هود ٧٣

(٣) نور الأبصار للشبلخى

تشتـمل على مداخل العالم الإسلامى كلـه فإن لم تكن هى الأماكن التى دفن فيـها رأس الحسين فإنها الأماكن التى تحيا بها ذكراه .

فأيا كان المـوضع الذى دفن به رأس الحسين فهو فى كل مـوضع أهل للتعظيم والتشريف وإنما أصبح الحـسين بكرامة الشهادة وكرامة البطولة وكـرامة الأسرة النبوية معنى يحضـره الرجل فى صدره وهو قريب أو بعيد من قـبره وهذا المعنى فى القاهرة وفى عسقـلان وفى دمشق وفى الرقة وفى كربلاء وفى المدينة وفى غـير تلك الأماكن سواء (١) .

وهناك مقولة لطيـفة من لطائف الصوفية فى هذا المقـام تنسب إلى سيدى على الخواص « حكم باب البـرزخ حكم التيار الذى نزل فـيه إنسان فيـغطس ثم يطفو فى موضع آخر وتلك خاصة من خواص الأولياء الذين لهم ما يشاءون عند ربهم » .

فإحياء الذكرى من هنا فى أى مكان واجبـة على من يحتفى بالشهيد رضى الله عنه وأرضاه وجعل القلوب مستقرا لمحبته تعظيما وطاعة لجده ﷺ .

وقد أوردت الروايات مقر رأس الحسين بينما اجتمعت الآراء على أنها استقرت ودفنت فى كربلاء . .

أما الرأس فـقيل دفنت فى دمـشق وقيل فى القـاهرة وقيل فى عـسقـلان وقد أقيمت فوق كل منها الأضرحة بجوار المساجد التى تحمل اسم الإمام الحسين، ويطلق المشهد الحسينى فى هذه البلاد على الضريح الذى دفن فيه رأس الحسين بعد استشهاده بكربلاء وأشهر هذه المشاهد:

مشهد الحسين بكربلاء وبه جثمانه رضى الله عنه وكـذلك مشهد عسقلان فقيل إنه نقل إليـهـا الرأس الشريف من دمـشق ومنهـا حـمل إلى القاهـرة عندما غـزاها الصليبيون فخاف المحبون لأهل البيت أن يصل الصليبيون إلى الرأس الشريف فيسيئون

(١) عبقرية الإمام لعباس العقاد

إليه فحملوه بعيدا إلى القاهرة فى مكان المسجد المعروف فى القاهرة بمسجد الصالح طلائع بن رزيك بحى الغورية القريب من مسجد الحسين الحالى ثم بنى له المسجد الحالى وهو المسجد الذى يزدحم دائما بالرواد وأكثرهم من محبى أهل البيت يصلون فى المسجد ويزورون المشهد الحسينى طلبا للبركة وأداء لواجب المودة وتعبيرا عن الحب الذى يكنونه لجدهم ﷺ وحبًّا فى آل البيت الأطهار كما يوجد مشهد بدمشق بصحن المسجد الأموى الشهير

وقد تواترت أنباء المحققين على صحة وجود الرأس الشريف بالمشهد الحسينى بالقاهرة؛ وعناية الخلفاء والمصلحين بتعمير المسجد الحسينى وتزيينه دليل على ذلك. وقد ذكر العلامة السخاوى فى كتابه تحفة الأحباب: أنه مسجد فى القاهرة أنشأه الوزير طلائع بن رزيك الوزير الفاطمى لاستقبال رأس الحسين ثم نقل الرأس الشريف إلى المشهد الحالى . . وكذلك نقل عن المقريزى فى خططه أن الصالح طلائع بن رزيك بنى مسجدا لرأس الحسين بعد نقلها من عسقلان خشية استيلاء الفرنجة عليه ثم نقل الرأس الشريف إلى مكانه الملحق بالمشهد الحسينى الحالى سنة ١١٥٣م .

ومن الأدلة التى ترينا أن الرأس الشريف دفنت فى الموضع الحالى الملحق بالمشهد الحسينى بالقاهرة أنه جاء فى كتاب « العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد» .

أن المرحوم عبدالرحمن كتخدا لما أراد توسيع المسجد قيل له: إن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ونزل الشيخ الجوهرى الشافعى والشيخ الملوى المالكى وهما من كبار العلماء فى ذلك الوقت فى بداية النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى فشاهدا ما بداخل البرزخ ثم خرجا وأخبرا بما شاهداه وهو كرسى من الخشب الساج، عليه طَسْتٌ من ذهب فوقه ستار من من الحرير الأخضر تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله الرأس الشريف فانبنى على إخبارهما تحقيق هذا المشهد وبنى المسجد والمشهد وأوقف على المسجد أوقافا يصرف المسجدُ من ريعها ولا تزال أعمال العمارة والتجديد

والتوسعة للمسجد بما يتناسب مع مكانة صاحبه الإمام الحسين رضى الله عنه .

وليس أفضل من هذه المقولة التى تريح المحبين لأهل البيت وهى مقولة تنسب إلى محب كبير يقول : « وأيا كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن فى القلوب والضمائر قاطن فى الأسرار والخواطر» .

وكذلك قال :

لا تطلبوا المولى الحسين بأرض شرق أو بغرب
ودعوا الجميع وعرِّجوا نحوى فمشهده بقلبى

وقد تشرفت مصر باستضافة جماعة من أهل البيت الكرام من أبناء الإمام الحسين والإمام الحسن رضى الله عنهم وكانت السابقة إلى هذا الشرف السيدة زينب أختهما رضى الله عنها بعد استشهاد أخيها الإمام الحسين حيث طلب منها أن تختار بلدا تقيم به خارج بلاد الحجاز حتى لا يلتف الناس حولها ويطلبون الثأر لأخيها الشهيد الحسين رضى الله عنه فاختارت البلد الآمن الذى كان رسول الله ﷺ قد أوصى بأهله خيرا وشرفت أرض مصر وأقامت بها بين أحباب أهل البيت حتى توفيت بها وبنى لها المسجد الحالى والمعروف بالمشهد الزينبى والمقام الزينبى الذى يزدحم بزواره دائما أداء لواجب المودة لأهل البيت الكرام .

* * *

وأختتم كتابى «الحسن والحسين» بالإقرار بأننى محب لآل البيت، أسأل الله أن يحشرنى معهم وأن يضفى عَلَىَّ من فضلهم، وأن أحيا منسوباً إليهم، فقد نشأت على حبهم ومودتهم وكثيراً ما كنت ولا أزال أتردد على مساجد السيدة زينب والإمام الحسين والسيدة نفيسة وسيدى أحمد البدوى، كما أحرص على زيارة مساجد آل البيت المنتشرة فى أنحاء مصر أؤدى واجب العبودية لله بالصلاة ثم أزور قبور أهل البيت بقصد الانتفاع بصلة رحم رسول الله ﷺ ولأهدى لهم الدعاء برفع درجاتهم أداء لواجب المودة التى أمرنا بها رب العزة عز وجل ودعانا إليهما نبينا جدهم المصطفى ﷺ ولما كانت النية خالصة فى محبتهم لوجه الله تعالى منذ نشأت فقد أكرمنى الله تعالى فساقنى إلى ولى كريم من أعظم المحبين لآل البيت كتب عنهم مؤلفات كثيرة كلها نور فى نور . فقد أوقف حياته على حب الصالحين وعلى رأسهم أهل البيت حتى فاز بشرف رئيس مجلس إدارة المسجد الحسينى وكما اختار مسكناً مباركا له بجوار المسجد الزينبى فكان يرتاد المسجدين كل يوم رضى الله عنه. . وقد اجتمعت بشيخى هذا وكأنى كنت أبحث عنه فى العالم الفسيح ولزمت مجلسه أكثر من عشرين سنة حتى انتقل إلى رضوان الله وأسكنه الله ضريحه المنير فى بقعة مباركة بين حى المعادى والبساتين.

ومما سمعته منه رضى الله عنه فى تعلقه بسيدنا الحسين رضى الله عنهما قوله وقد نشره فى كتابه الإمام الحسين بن على للأستاذ حسن كامل الملطاوى قال: «وقد رأيت فى شبابى وربما كانت نفسى أصفى مما هى الآن رؤيا تسعدنى كلما تذكرتها فقد رأيت مولانا الإمام الحسين كأقوى ما يكون الرجل قوة وبسطة فى الجسم، متجها للقبلة فى ضريحه الحالى المبارك بين صندوق النذور والتركيبة التى توضع عليها المصاحف» على يسار الداخل من الباب الأخضر، وعلى رأسه لباس أبيض كالذى

يلبسه العرب الآن تحت العقال، ويحيط برأسه الشريف طوق من ذهب ويتدلى من ذلك الطوق سلاسل ذهبية تنتهى فى أطرافها بدنانير دهبية.

وكان رضى الله عنه يذكر فى وقفته هذه وهو مستقبل القبلة اسمه تعالى «حى» مع تحريك رأسه كما يفعل الذاكرون وهم وقوف، وكلما اهتز رأسه الشريف سمعت رنيناً جميلاً للدنانير التى تحتك بعضها ببعض من إثر الاهتزاز رضى الله عنه.

ثم قال رضى الله عنه. ثم كان أن سمعت من أحد إخوانى فى الله أن القطب الكبير شيخنا سيدى الحاج محمد أبو خليل - ساكن ضريحه الأنور بالزقازيق وشيخ وإمام الطريقة الخليلية أنه قال: إن الرأس الشريف هو الذى نقل إلى القاهرة ولكن، هل يليق أن يقال إنه ليس بالقاهرة إلا رأس الإمام الحسين؟ إن الله تعالى قادر على جمع الشمل.

ثم علق الأستاذ حسن الملطاوى فقال.. ومذاق شيخنا أبى خليل رضى الله عنه مذاق صوفى وللصوفية مذاقاتهم العالية ومواجيدهم الصافية. والإمام الحسين قد سكن بجسده وروحه قلوب أحبائه المؤمنين كإمام فذ من أئمة الهدى وعلم آل البيت الخفاق فى زمانه وفى الأزمنة اللاحقة.. قال المحب:

لا تطلبوا المولى الحسين بأرض شرق أو بغرب
ودعوا الجميع وعرِّجوا نحوى فمشهده بقلبى

ألا رضى الله عن الإمامين الحسن والحسين وعن سائر أهل البيت الكرام وأكرمهم الله تعالى والساعين لمودتهم وأسعد الله بلدنا بجوارهم الكريم.

المؤلف

النبوى جبر سراج

أهـــم المراجـــع

الإمام الحسين بن على	حسن كامل الملطاوى
الإمام الحسن خامس الخلفاء الراشدين	حسن كامل الملطاوى
أبو الشهداء: أبو عبدالله الحسين بن على	توفيق أبو علم
أهل البيت فى مصر	عبد الحفيظ فرغلى على قرنى
نور الأبصار	الشبلخى
عبقرية الإمام	عباس محمود العقاد
على وبنوه	طه حسين
نور الحى القيوم	أحمد عبد المنعم الحلوانى
السيدة زينب فى قلوب المحبين	النبوى جبر سراج
السيدة نفيسة كريمة الدارين	النبوى جبر سراج
السمو الروحى فى الأدب الصوفى	آحمد عبد المنعم الحلوانى
المسجد النبوى الشريف ومزارات أهل البيت	إسماعيل آحمد إسماعيل/ النبوى سراح

الفهرس

الصفحة

هذا الكتاب

الحسن والحسين رضي الله عنهما سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا رسول الله صلي الله عليه وسلم وحفيداه دعا لهما ولمن أحبهما، ورغّب في أداء المودة نحوهما فجدهما في الجنة وأبوهما في الجنة وأمهما في الجنة وهما سيدا شباب أهل الجنة ومن يحبهما يلحق بهما بإذن الله.

فيا مَن يواليهم ويحفظ ودهم .. ويكرم مثواهم هنيئاً له البشري فلا بد يوم العرض يسمع قائلاً .. تفضل تقدم فادخل الجنة الخضرا.

والحسن والحسين رمزان للتضحية في سبيل إرساء مبدأ الشوري ولتحقيق السلام وإيثاره أيضاً..

فأحدهما ضحي من أجل السلام والآخر سالم من أجل السلام.. فرضي الله عنهما..

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين